

محاضرات في مقياس قضايا النص الشعري العربي القديم

لطلبة السنة الثالثة ليسانس تخصص دراسات أدبية

إعداد: د/ سعاد طبوش

تمهيد:

الشعر هو الكلام الموزون المقفى الذي يتم التعبير فيه عن الخيال والبديع ببلاغة، ارتبط الشعر قديماً بالمشاعر وطباع العرب، ولم يكن يحتاج الشعر العربي القديم إلى تعمق في العلم أو التطور الحضاري حتى يتم نظمه، بداية الشعر عند العرب غير معروفة تحديداً، يضم الشعر العربي القديم الحوادث والألسنة المختلفة. كان الشعر العربي بالنسبة للعرب قديماً أساساً لحكمهم وعلومهم، وسجلاً تاريخياً لما يدور من أحداث بينهم، ودليلاً على الصواب والخطأ، ومادة للحوار والسمير في مجالسهم. بدأ العرب في نظم الشعر باستخدام الشعر المرسل (المتحرر من القافية) ومنه انتقلوا إلى السجع (المحسنات اللفظية، استخدم أول مرة من قبل الكهنة في مناجاة للآلهة) ومنه إلى الرجز وهو شكل من أشكال الشعر يتميز بوحدة موسيقاه وغرابة ألفاظه، (لفظ بدوي) ظهر عندما انتقل الشعر من المعابد إلى الصحراء ومن الدعاء إلى الغناء). تعددت الأوزان المستخدمة في الشعر العربي القديم -فيما بعد-؛ حيث أصبح للشعر الحماسي وزن، ولشعر الغزل وزن، وللهزج وزن، والتي حصرها الخليل بن أحمد في (15) وزناً سميت بالبحور الشعرية. عندما نقول الشعر، في المقام الأول : نتبادر إلى أذهاننا لفظة الشعر في مقابل لفظة النثر ، وفي مقابلة أحدهما بالآخر تظهر دلالة كلّ منهما، فالمفهوم القديم استقرّ على نعت الشعر بكونه قول موزون مقفى يدلّ على معنى، أي؛ الخاصية الجوهرية التي تميّز الشعر عن النثر هو جانب الإيقاع والموسيقى ومنهما يكون تأثيره ووقعه، فالشاعر عليه مراعاة مسألة الأوزان والبحور وكلّ ما يتعلّق بها من ضروب الموسيقى والإلقاء والألحان والتغيّرات التي تلحق بالبحور الشعرية والجوازات وتأثير ذلك كلّهُ على القيمة الجوهرية للشعر كجنس مختلف عن النثر الذي يمتاز بدوره بالسلاسة والبعد عن التكلّف والحُرّيّة في إيراد الأفكار والمعاني دون قيد ولا شرط.

وفي المقام الثاني :عندما نقول الشعر العربي، نقصد به ؛جميع النصوص الشعرية التي أنتجها الشعراء سواء كانوا عرباً أو عجماء ، فالشرط الوحيد هو أن تُكتب باللغة العربية ويُلتزم فيها بالخضوع لمقاييس الشعر المطلوبة وحدوده المرغوبة، كما نقصد بالشعر العربي ذلك الشعر الذي يُنسبُ للعرب لغة وثقافة وفِكرًا والذي يُميزهم عن بقية الأمم في آدابها ولغاتها القومية.

أمّا لفظة القديم :فالأمر يتعلّق بقضية التقسيم الزمني للأدب بنوعيه [الشعر/النثر] إلى فترات زمنية والذي يطرح بدوره سؤال الفروق والمميّزات والخصائص وتأثيرات الزمن ومُقومات الإبداع في كلّ فترة ،فإذا قلنا القديم فهو في مقابل الحديث والمعاصر . وهل الاختلاف يكمن في مسألة الزمن فقط أم هناك اعتبارات أخرى؟.

و القديم في عُرف مؤرّخي الأدب العربي: يبتدئ من العصر الجاهلي [150عاما قبل بعثة الرسول(ص)] وينتهي بفترة بداية العصر الحديث [حملة نابليون على مصر 1798م/ 1213هـ]،وهي فترة طويلة جدا بالمقارنة مع الحديث والمعاصر ، وهو ما يكشف عن نزعة التلخيص المُجِيف في الحِصص البيداغوجية المخصّصة للمقياس ،أمّا إذا تناولنا مصطلحات القديم والحديث والمعاصر من حيث المفاهيم الدلالية فالأمر مختلف .

المحاضرة الأولى - النزعة القبلية (العصبية القبلية) في الشعر الجاهلي:

تعني العصبية إجمالاً الحث على نصره الأولياء والأقرباء، ظالمون كانوا أو مظلومين، كما تعني الدعوة إلى المدافعة، والمحاماة، والمطالبة في سبيل الأقارب والأولياء¹. وهي في اللغة مشتقة من «العصب»، وهو: الطيُّ والشَّدُّ، وعصب الشيء يعصبه عصبًا: طواه ولواه، وقيل: شدة، والتَّعَصَّب: المحاماة والمدافعة، وفي الاصطلاح قال الأزهري في "تهذيب اللغة": «والعصبية: أن يدعو الرَّجل إلى نصره عصبته والتألب معهم، على من يناوئهم، ظالمون كانوا أو مظلومين»². عرفها بعضهم بأنها رابطة اجتماعية سيكولوجية (نفسية) شعورية ولا شعورية معًا، تربط أفراد جماعة ما قائمة على القرابة ربطاً مستمراً يبرز ويشتدّ عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد؛ كأفراد أو كجماعة³. وعرفها آخرون بأنها: التلاحم بالعصب، والاتصاق بالدم، والتكاثر بالنسل، ووفرة العدد، والتفاخر بالعلبة والقوة والنطاول. «للعصبية أنواع متعددة، وما سبق في تعريفها من أنها تعصب ذوي القربى والتحالف، وتضامن أبناء القبيلة؛ إنّما هو أصل معناها في اللغة، وهو يعود إلى كلمة عصبية، غير أنّ معناها قد توسّع فيه بعد، فأطلقت على أنواع أخرى من التعصبات، بحسب الغرض الذي نشأت لأجله، والسبب الذي اعتمدت عليه، وإنّ من الصّعوبة البالغة حصر أنواعها، لكن يمكن أن نضرب أمثلة لها بعصبيات الجنس واللون واللغة والمذهب والوطن والحزب والقوم والجنسية والنسب³.

لعل أهم ما يميز حياة العرب في الجاهلية أنها كانت حياة حربية تقوم على سفك الدماء حتى لكأنه أصبح سنة من سننهم؛ فهم دائماً قاتلون مقتولون، لا يفرغون من دم إلا إلى دم؛ ولذلك كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الأخذ بالثأر؛ فهو شريعته المقدسة، وهي شريعة تصطبغ عندهم بما يشبه الصبغة الدينية؛ إذ كانوا يحرمون على أنفسهم الخمر والنساء والطيب حتي يثأروا من غرماهم. ولم يكن لأي فرد من أفراد القبيلة حق ولا ما يشبه الحق في نقض هذه الشريعة ولا في الوقوف ضدها أو الخروج عليها، فما هي إلا أن يُقتل أحد منهم؛ فإذا سيوف عشيرته مسلولة، وتتبعها العشائر الأخرى في قبيلته، تؤازرها في الأخذ بثأرها، ويتعدد القتل والثأر بينها وبين القبيلة المعادية، وتتوارثان الثارات حتي يتدخل من يصلح بينهما ويتحمل الديات والمغارم، ولم يكونوا يقبلونها إلا بعد تفاقم الأمر وإلا بعد أن تأتي الحرب على الحرث والنسل. أما قبل ذلك فكانوا يعدونها سبة وعاراً وفي ذلك يقول عبد العزى الطائي:

إذا ما طلبنا نَبْلنا عند معشرٍ أبينا جلاب الدّرّ أو نشرَب الدِّمّا⁴

فهم لا يرضون بالدية ويرونها ذلاً ما بعده ذل أن يستبدلوا الدم بالإبل وألبانها؛ فالدم لا يشفيهم منه إلا الدم، وكأنما أصبح سفكه غريزة من غرائزهم لا تزايلهم؛ فهم يطلبونه وهم يتعطشون إليه تعطشاً شديداً على شاكلة تأبط شراً إذ يقول:

قليلُ غرارِ النومِ أكبرُ همه دم الثأر أو يلقى كميّاً مُسَفَّعا⁵

1_ وزياتي الدراجي، العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني، صفحة 23.

2_ معنى كلمة العصبية"، معجم المعاني.

3_ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، صفحة 22 23 29. بتصرف.

4 - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، دار المعارف، القاهرة، 1960، ج1، ص.275.

5 - التبل: الثأر، وحلاب الدر: كناية عن الإبل التي تحلب وتشرب ألبانها. و غرار النوم: قليله، والكمي: الشجاع.

فأكبر ما يهتم به وينصب له طلب الثأر ولقاء بطل سفعت وجهه الهواجر. وأكثر حروبهم كان يجرها نزاع بين بعض الأفراد في قبيلتين مختلفتين؛ إما بسبب قتل أو بسبب إهانة، أو بسبب اختلاف على حد من الحدود، وحينئذ تشتبك عشيرتا هؤلاء الأفراد، وتتضم إلى كل عشيرة عشائر قبيلتها، وقد تنضم أحلافهما، فتنتشر نيران الحرب بين قبائل كثيرة، وصور ذلك شاعر الحماسة؛ إذ يقول:

الشيء يبدوه في الأصل أصغره وليس يصلى بكل الحرب جانيها

والحرب يلحق فيها الكارهون كما تدنو الصباح إلى الجربى فتُعديها

فهي تبدأ صغيرة ضعيفة، ثم تقوى وتستحكم وتعظم بمرور الزمن؛ فتصبح لها عدوى كعدوى الجرب، لا يفلت منها راغب فيها ولا كاره؛ فالجميع يصطلون بنارها، بل يترامون فيها ترامي الفراش، فهي أمنيتهن ومبتغاهن، يقول زهير:

إذا فرّعوا طاروا إلى مُستغِيثهم طوال الرماح لا ضعاف ولا عزّل

بخيل عليها جنة عقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلوا

وإن يقتلوا فيشتقى بدمائهم وكانوا قديماً من منايهاهم القتل

فجميعهم يطبّرون إلى المستغيث بخيلهم ورماحهم، وتدور رحى الحرب فيقتلون من أعدائهم ويشفون حقدهم ويقتل منهم أعداؤهم ويشفون غليلهم. يقول دريد بن الصمة:

يُغار علينا واطرين فيشتقى بنا إن أصبنا أو نُغِيرُ على وتر

بذاك قسّمنا الدهر شطرين قسمة فما ينقضي إلّا ونحن على شطر

وإن للحم السيف غير نكيرة ونلحمه حيناً وليس بذي نكر

ومثل قبيلة دريد قبائل العرب جميعها؛ فهم طعام السيوف، يطعمونها أعداءهم، ويطعمهم أعداؤهم لها في غير نكران؛ فهم دائماً واطرون موتورون، وحياتهم مقسومة على هذين الحدين وإلى هذين الشطرين. ولم يكونوا يرهون شيئاً مثل الموت ختف الأنف بعيداً عن ميادين القتال، ميادين الشرف والبطولة؛ حيث يموتون طعناً بالسيوف والرماح، وحيث تتناثر أشلاؤهم وتأكّلها السباع، يقول الشنفرى:

فلا تقبروني إن قبري محرّم عليكم ولكن خامري أم عامر

إذا ضربوا رأسي وفي الرأس أكثرى وغدير عند الملتقى ثم سائري

هناك لا أبغي حياة تسرني سَمِير الليالي مُبَسلاً بالجرائر

فهو يتمنى أن لا يقبر، وأن يترك بالعراء في ساحة الحرب تنوشه السباع، ويبشر أم عامر وهي الضبع بجسده، حتى يخلد في سجل قتلى الجاهلية المجيد، وكانوا يسمون حروبهم ووقائعهم أياماً؛ لأنهم كانوا يتحاربون نهاراً؛ فإذا جنهم الليل وقفوا القتال حتى يخرج الصباح. وأيامهم وحروبهم كثيرة، وهي تدور في كتب الأدب والتاريخ، ويقال إن أبا عبيدة المتوفى سنة 211 للهجرة صنف في ألف يوم ومائتين منها كتاباً اعتمد عليه من جاءوا بعده، ولم يصلنا هذا الكتاب؛ وإنما وصلنا شرحه لنقائض جرير والفرزدق وفيه طائفة كبيرة منها. وألف فيها من بعده كثيرون أحصاهم ابن النديم في المقالة الثالثة من الفن الأول بكتابه الفهرست. وفي كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصبهاني وشرح حماسة أبي تمام للتبريزي منشورات منها كثيرة. وعقد لها ابن عبد ربه في العقد الفريد وغيرهم¹.

المحاضرة الثانية- نزعة التمرد في شعر الصعاليك:

يقول ابن منظور في قاموسه الجامع "لسان العرب": "الصُّعلوك: الفقير الذي لا مال له. ولا اعتماد". تدور معظم المعاجم العربية على هذا النحو في تعريفها للصعاليك أو الصعلوك، فهو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتكى عليه أو يتكل ليشق طريقه فيها، ويعينه عليها، حتى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة، ويواجهون مشكلاتها يدا واحدة.

على أن مصطلح "صعلوك" "صعاليك" يتردد بكثرة في أخبار العصر الجاهلي قبل الإسلام في الجزيرة العربية، وتقابلك كثيرا على ألسنة شعرائه ورواة أخباره. لكن في الكثرة الغالبة يدور المصطلح حول مجموعة من العرب أفراد وجماعات انقطعوا للإغارة وقطع الطرق.

كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من ثلاث طبقات: الأبناء، والعبيد، والموالي (العتقاء)، ويدخل فيهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم وفتتهم عنها لكثرة جرائمهم، وكانوا يعلنون هذا الخلع على رؤوس الأشهاد في أسواقهم وأنديتهم، ومن هؤلاء الخلعاء طائفة الصعاليك، وكانوا يهيمون على وجوههم في الصحراء، فيتخذون النهب وقطع الطريق سيرتهم ودأبهم على نحو ما نعرف عن تأبط شرا، والسليك بن السلكة، والشنفري²، وميز المؤرخون بين ثلاث مجموعات:

- مجموعة من الصعاليك الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائمهم مثل (حاجز الأزدي، وقيس بن الحدادية، وأبي الطمحان القيسي).
- مجموعة من أبناء الحبشيات السود ممن نبذهم آبائهم ولم يلحقوهم بهم لعار ولادتهم مثل: (السليك بن السلكة، تأبط شرا، الشنفري)، وقد سموا لسوادهم (أغربة العرب).
- مجموعة لم تكن لا من هؤلاء ولا هؤلاء بل احترفت الصلعة مثل: (عروة بن الورد العبسي).

وتتردد في أشعارهم صيحات الفقر والجوع، كما تموج أنفسهم بثورة عارمة على الأغنياء والأشحاء، ويمتازون بالشجاعة والصبر عند البأس وشدة المراسي وسرعة العدة، وكانوا يحسنون ركوب الخيل والإغارة عليها، وكانت أكثر المناطق التي يغيرون عليها مناطق خصبة، وكانوا يرصدون طرق القوافل (التجارية والحجاج) بالقرب من مكة والطائف والمدينة وأطراف اليمن الشمالية، وهم في أشعارهم يتغنون بمغامراتهم، ويتمدحون بالكرم، كما نرى فيهم كثيرا من البر بالأقارب، كما نحس عندهم غير قليل من الترفع والشعور بالكرامة في الحياة، يقول في ذلك أبو خراش الهذلي:

وَإِنِّي لِأَثْوَى الْجَوْعَ حَتَّى يَمْلَأَنِي فَيَذْهَبَ لَمْ يَدْنَسْ ثِيَابِي وَلَا جِرْمِي

1- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص.ص. 64-65.

2- ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص. 67.

وَأَغْتَبَقَ الْمَاءَ الْقَرَّاحَ فَأَنْتَهَى إِذَا الزَادَ أَمْسَى لِلْمَزَلَجِ ذَا طَعْمٍ
أَرَدُ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعَلَّمِيْنَهُ وَأَوْثِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطَّعْمِ
مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَغَمٍ وَذِلَّةٍ وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَغَمٍ¹.

فهو يفتخر بأنه يصبر على الجوع حتى يتكشف عنه، دون أن يلحقه فيه ضيم، وإنه ليكفيه الماء القراح، بينما يتخم من حوله أشحاء النفوس بالطعام، أما هو فحبي به إن وجد الطعام أثر به عياله وأولاده وكل ذلك يصنعه حتى لا يوصم بعار الذل، وعروة بن الورد يعبر عن مثالية خلقية رفيعة لا تقل جمالا عن مثالية عنتره، وكأنما تحولت الصعلكة في أواخر العصر الجاهلي إلى نظام يشبع نظام الفروسية، فهم لا يسطون على سيد كريم.

أما الشنفرى فكان صاحب مغامرات، فهو في تائيته يصور لنا ذلك عندما أغار هو ورفاقه الصعاليك على قبيلة بني سلمان وعلى رأسهم تأبط شرا، ونراه في مستهل وصفه يحدثنا أنه كان يقودهم ويعرفنا بالطريق الذي سلكوه، وأنهم كانوا راجلي يقتحمون الصعاب غير هيايين ولا وجلين، يقول:

وَبَاضِعَةً حُمِرِ الْقَسِيَّ بَعَثْتُهَا وَمَنْ يَغْزُرُ يَغْنَمُ مَرَّةً وَيُشَمَّتِ
خَرَجْنَا مِنَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنَ مِشْعَلٍ وَبَيْنَ الْجَبَا هِيَهَاتُ أَنْشَأْتُ سُرْبَتِي
أُمَشِّي عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي لَنْ تَضُرَّنِي لِأَنْكِي قَوْمًا أَوْ أَصَادِفَ حُمَتِي
أُمَشِّي عَلَى أَيْنِ الْعَزَاةِ وَبُعْدَهَا يُقَرَّبُنِي مِنْهَا رَوَاحِي وَغُدُوتِي

وهو يعترف في البيت الأول بأنهم قد يعودون خائبين أو مهزومين من غارتهم، ولكن ذلك لا يرددهم عن الغزو، بل يدفعهم دفعا إليه، فهو لا يتهيبون الموت و عناء الطريق، ويصور لنا كيف كان تأبط شرا يحمل زادهم ويقتدر عليهم في الطعام خيفة أن تطول اللغزاة بهم فيموتوا جوعا².

وفي القصيدة نفسها يحدثنا كذلك عن أهداف غارته، وأنه كان يقصد الثأر لأبيه من بني سلمان حتى يشفي حقه و غليله، يقول:

جَزَيْنَا سَلَامَانَ بْنَ مُفْرِجٍ قَرَضَهَا بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ وَأَزَلَّتِ
وَهُنَّ بِي قَوْمٌ وَمَا إِنْ هَنَأْتُهُمْ وَأَصْبَحْتُ فِي قَوْمٍ وَلَيْسُوا بِمُنِيَّتِي
شَفَيْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ بَعْضَ غَلِيلِنَا وَعَوَفٍ لَدَى الْمَعْدَى أَوْ أَنْ إِسْتَهَلَّتِ
وَإِنِّي لَحُلُّوْ إِنْ أُرِيدَتْ حَلَاوَتِي وَمُرٌّ إِذَا نَفْسُ الْعَزُوفِ اسْتَمَرَّتِ

وهو يصرح بأنه جزی بني سلمان بما قدمت أيديهم ويأس أن يكونوا قومه ولا ينتفع به وببأسه وأن يقعد لهم ويقعدوا لما بينه وبينهم من ثأر قديم، يحدثنا أنه شفى بعض غليله بقتله لرجلين منهم هما عبد الله وعوف، ويقول أنه حلوا لأصدقائه مر على أعدائه كأنه الحنضل، وهكذا كانت حياته غارات ومغامرات حتى أصاب أعداؤه منه مقتلا فقتلوه.

1- ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص.ص. 375-376.

2 - ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي)، ص.ص. 379-380-381.

ومن صعاليك الجاهلية المشهورين نحد عروة بن الورد، وكان أبوه من شجعان عبس وأشرافها، وقد كان له دور كبير في حرب داحس والغبراء، أما أمه فكانت من نهد قبيلة من قضاة وهي عشيرة وضيعة لم تعرف بشرف ولا حظر، فأذى نفسه إذ أحسّ في أعماقه من قبلها بعار لا يحمي، يقول:

مَا بِي مِنْ عَارٍ إِخَالُ عِلْمُهُ سِوَى أَنَّ أَخَوَالِي إِذَا نُسِبُوا نَهْدُ

فهو عاره الذي حلت عليه البلية منه والذي دفعه دفعا إلى الثورة على الأغنياء، وهي ثورة كانت مهذبة إذ لم يتحول إلى سافك دماء ولا إلى متشرد، فقبيلته لم تخلعه، وقد اتخذ من الصعلكة بابا من أبواب المروءة والتعاون الاجتماعي بينه وبين فقراء قبيلته وضعفائها، ومن أجل ذلك لقب (عروة الصعاليك) بجمعه إياهم وقيامه بأمورهم، فقد كانت قبيلته تأتم به في خلاله وخصاله، وكان معاوية يقول: «لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم»، أما عبد الملك بن مروان فكان يقول: «ومن زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد».

ولعروة قصيدة أنشدها له الأصمعي في أصمعياته: وتعتبر من أوثق شعره وأصدقه، وهو يستهلها بتوجيه الخطاب إلى زوجته سلمى التي تلومه على كثرة مخاطراته ومغامراته في مختلف الغزوات، وقد ردّ عليها بأنّه يرمي بنفسه في المهالك ويخاطر من أجلها، حتى يغنيها، وحتى لا تشعر بعده بالحاجة والعوز وبالذل والهوان، وهي تماريه شفقة عليه، تقول:

تَقُولُ لَكَ الْوَيْلَاتُ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ ضُبُوءاً بِرَجُلٍ تَارَةً وَبِمَنْسَرٍ

فهو تقول له إنك لن تكفّ عن غاراتك بالصعاليك من الراجلين تارة ومن الفرسان تارة أخرى، وحرى بك أن تنهى عن ذلك حتى لا تلقى حتفك، ويرد عليها:

أَبَى الْخَفْضَ مَنْ يَغْشَاكَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَوْدَاءٍ الْمَعَاصِمِ تَعْتَرِي
وَمُسْتَهْنِي زَيْدُ أَبِيهِ فَلَا أَرَى لَهُ مَدْفَعاً فَأَقْنِي حَيَاءَكَ وَاصْبِرِي

المحاضرة الثالثة- أثر الإسلام في الشعر العربي القديم

المراد بصدر الإسلام الفترة الزمنية الممتدة بين البعثة المحمدية وبين قيام الدولة الأموية، هذه الفترة التي شهدت ميلاد المجتمع الإسلامي، كما عرفت انقلابا كبيرا في المفاهيم والقيم والتصورات.

و قد أحدث القرآن الكريم تأثيرا كبيرا في حياة العرب فقد نقلهم من البداوة إلى الحضارة، فتحضر بذلك أدبهم. وهو الذي وصلّهم بالأمم و الثقافات الأخرى، فتحضر بذلك شعرهم و نثرهم. ومن آثار القرآن الكريم على اللغة العربية أنه جمع العرب على لهجة قريش التي نزل بها، وأنه حول العربية إلى لغة قديمة وحفظ لها أصولها و معالمها، كما أحل فيها معاني جديدة وألفاظا جديدة عبرت عن هذه المعاني، وأنه كذلك هذب اللغة من الحوشية والألفاظ الغريبة¹.

ذَمَّ بَعْضُ النَّاسِ الشَّعَرَ كُلَّهُ وَذَمُّوا أَهْلَهُ، وَرَمَوْهُم بِمَا هُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ، وَتَمَسَّكُوا بِبَعْضِ الْأَدِلَّةِ الَّتِي حَمَلُوهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهٍهَا، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ ذَمَّ الشُّعْرَاءَ وَذَمَّ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ مِنَ النَّاسِ فَقَالَ تَعَالَى: وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ [الشُّعْرَاءُ: 224 - 226].

وَنَزَّهَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَنْ يَقُولَ شِعْرًا، فَقَالَ: وَمَا عَلَّمَاهُ الشَّعَرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ [يس: 69]، فَذَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَنْقِصِ الشَّعْرِ وَقَائِلِهِ.

وَاسْتَدَلُّوا أَيْضًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((: لَأَنْ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا))، وَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَمَّ الشَّعَرَ، وَذَمَّ مَنْ يَحْفَظُهُ وَيَشْغَلُ بِهِ وَقَفْتَهُ.

وَالْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ مَا حَرَّمَ الشَّعَرَ وَلَا عَابَهُ، بَلْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَنْشِدُ الشَّعَرَ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ رِوَاةً لِلشَّعْرِ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَاوِيَةً لِشِعْرِ أَبِيهِ، وَمَا بَرَخَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ يَسْتَدِلُّونَ عَلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِدَوَاوِينِ الشَّعْرِ. أَمَّا اسْتِدْلَالُهُمْ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ فَإِنَّهُ قَاصِرٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَعْيبِ الشُّعْرَاءَ مُطْلَقًا، وَإِنَّمَا عَابَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ؛ قَالَ تَعَالَى: وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ [الشُّعْرَاءُ: 224 - 227].

وَقَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شُعْرَاءٌ يُدَافِعُونَ عَنْهُ وَيَهْجُونَ الْمُشْرِكِينَ، وَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ، كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يُنْشِدُ بَيْنَ يَدَيْهِ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ

ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا بَنَ رَوَاحَةَ، بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَقُولُ الشَّعَرَ؟! قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خَلَّ عَنْهُ، فَلهُو أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ". وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ: "أَهْجُهُمْ - أَوْ هَاجَهُمْ - وَجَبْرِيلُ مَعَكَ". وَأَمَّا الْاسْتِدْلَالُ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّهَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشَّعْرِ، وَأَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قُبْحِ الشَّعْرِ وَكَرَاهَتِهِ وَانْحِطَاطِ مَنْزِلَتِهِ؛ فَغَيْرُ صَحِيحٍ؛ إِذِ الْآيَةُ فِي مَعْرِضِ الْإِنْتِصَارِ لِلْقُرْآنِ وَالِدِفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا اتَّهَمَهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، حِينَ قَالُوا: هُوَ شَاعِرٌ، فَذَكَرَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَقُولَ الشَّعَرَ يَوْمًا، وَمَا أَقَامَ قَافِيَةً يَوْمًا مَا، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ أَمِيٌّ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، فَأَنَّى لِمِثْلِهِ أَنْ يُؤَلِّفَ مِثْلَ هَذَا الْقُرْآنِ؟! وَأَمَّا اسْتِدْلَالُهُمْ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَأَنْ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِيَّ شِعْرًا"، فَإِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ غَلَبَ الشَّعْرُ عَلَى قَلْبِهِ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ حَتَّى شَغَلَهُ عَنْ دِينِهِ وَإِقَامَةِ فُرُوضِهِ، وَمَنَعَهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّنْ يَتَّخِذُ الشَّعَرَ أَدَبًا وَفُكَاهَةً وَإِقَامَةً مُرْوَعَةً، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ.

مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ مَوْقِفَ الْإِسْلَامِ مِنَ الْقِيمِ وَالْمَثَلِ وَالْمَمَارِسَاتِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً فِي الْعَهْدِ السَّابِقِ لَمْ يَكُنْ مَوْقِفًا وَاحِدًا، فَقَدْ اسْتَبَقَى مَا كَانَ يَتِمَاشَى مَعَ رُوحِهِ، وَهَذَبَ مَا أَمَكْنَ تَهْذِيبُهُ وَأَلْغَى كَثِيرًا مِمَّا كَانَ مُتَنَافِيًا مَعَ الصُّورَةِ الْمَثَلِيَّةِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَجْتَمَعِ. فِي الْبَدَايَةِ يَنْبَغِي أَنْ نَدْرِكَ بِأَنَّ مَعْجَزَةَ الرَّسُولِ فِي الْقُرْآنِ مَعْجَزَةٌ بَيَانِيَّةٌ مِنْ بَابِ أَوَّلٍ، فَالْعَرَبُ كَانَتْ لَهُمْ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَحَدَّاهُمْ فِي لُغَتِهِمْ لَكِنْ بِنِظْمٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَجَارَوْهُ، لِذَلِكَ وَحِينَ بَهَرَهُمْ مَا فِيهِ مِنْ بَيَانٍ شَبَّهَهُ بِأَرْقَى شَيْءٍ لَدَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ الْفَصَاحَةُ

والبيان و هو الشعر، و ألقوا صفة الشاعرية بحامله إليهم يقول ابن رشيق: «ألا ترى كيف نسبوا النبي p إلى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم؟ فقالوا: هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته»¹.

والرسول إذ يذم الشعر لا يذمه على إطلاقه، وإنما يذم نوعا خاصا منه، هو ذلك الشعر الذي يجافي روح الإسلام و تعاليمه، ويباعد بين العرب، ويفرق كلمتهم ويذكي فيهم روح العصبية بكل أنواعها وأثامها². وينسب للنبي كلما كثار يكشف عن تأثره بالشعر وإعجابه به و تقديره لقيمته وإدراكه العميق لمكانته في نفوس العرب يقول عليه الصلاة والسلام: "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا"³.

وقد أثر الإسلام في الشعر العربي القديم تأثيرا كبيرا؛ فحدث فيه تطور وتجديد كبيرين، وظهر ذلك بشكل أوضح في شعر الفتح. فقد واكب الشعر حياة المسلمين، وتطور مع أهدافها وغاياتها وسبلها، وصور أضخم جوانبها، وجدد أغراضا وقيما وموضوعات مستحدثة، وتطور بموضوعات قديمة، كما اكتسب لنفسه طوابع فنية معينة اتسم بها.

وهذه الطوابع ليست إلا ظلالات للفكرة الإسلامية ومقتضياتها، وصدى للوجدان الجماعي للمسلمين، وانعكاسا للظروف التي عاشها المسلمون في فترة من أهم فترات حياتهم وتاريخهم. وعلى هدى هذه المقاييس الفاعلة في تشكيل شعر الفتح الإسلامي، يمكننا أن نتبين خصائصه الفنية التي تطبعه في عمومه.

وأولى هذه الخصائص أن شعر الفتح شعر ملتزم فلم يكن له إلا أن يكون أثرا للحركة الإسلامية كما أسلفنا. وعلى ذلك فقد خالف عن أن يكون كما كان الشعر الجاهلي أداة لخدمة القبيلة، أو ألوية يتلها بها الشاعر في سبيل التسرية والطرب والاستمتاع، وتحول إلى أن يكون أداة اجتماعية، تحفظ تماسك الوحدة الإسلامية، ووسيلة من وسائل صيانة الفكرة الإسلامية وتأييدها. وبهذا صار للشعر في الإسلام مفهوم جديد، يكاد يكون التزاما بغايات معينة جند الشعر في خدمتها لا يتجاوزها ولا ينحرف عنها؛ بل لا يمكن له أن ينحرف عنها، فمغبة وكان على الشعراء الذين استجابوا لهذه التعاليم أن يكونوا في مقدمة الجيوش الزاحفة أو من خلفها، يقومون بأداء ما التزموا بأدائه.

ووجد الشعراء الذين أحجموا من قبل عن الالتزام بهذه التعاليم، فرصة في انطلاقهم إلى الميادين جنودا يجاهدون في سبيل الله، ويفخرون بجهادهم وبجهاد قبائلهم في نصره العقيدة، بينما انطلق شعر كثير على السنة جنود لم يعرفوا بالشعر من قبل. واتسم هذا الشعر كله بالاتصال بوجدان جماعة المسلمين والصدور عنه، والعزوف عن تقاليد الشعر الجاهلي، ورفض كل ما لا ترتضيه الفكرة الإسلامية، فسكتت النعرات القومية المحلية، وخفت صوت الفخر القبلي، والإسلام وبالجهد في سبيله، واندثر الغزل الحسي، وأطيح بالمقدمات الطللية، وما كان يفخر به الفرسان من قبل برواية المغامرات المشتملة على الطرب والشراب والعبث. وإذا بالشعر في كل أغراضه ومعانيه يتلون بما لا يחדش الغايات السامية، وينطبع بطوابع إسلامية واضحة في معانيه وألفاظه كما أسلفنا.

ولا ريب أن هذا الالتزام كان يخضع لرقابة المجتمع، وبعبارة أدق: لرقابة وجدانه، وكما كان يحدث للمحرفين من الشعراء عن هذه الجادة في الجزيرة من سجن كما حدث للحطيئة، ولوم كما حدث لحسان، كان يحدث ذلك لشعراء الفتح، وسكان الأمصار المفتوحة من الفاتحين. فهذا النعمان بن نضلة يعزل عن ولاية دست

1- ابن رشيق، العمدة ج.1، ص.52.

2- عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص.44.

3- الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص.13.

ميسان؛ لأنه قال شعراً تغنى فيه بالشراب، وسماع غناء الدهاقين والقيان. وهذا ذو الكلاع يقع في حد الخمر، عندما يتغنى بنبيذ الشام، ويكون ذلك سبباً في طبخ كل نبيذ هناك. وهكذا نستطيع أن نقول: إن طابع الالتزام الذي طبع شعر الفتح غير مفهوم الشعر الإسلامي بعامة، وشعر الفتح بخاصة؛ إذ جعله أداة في خدمة المثل الإسلامية، والغايات والمبادئ التي تدعو إليها. وكان لهذا أكبر الأثر في تلوين أغراض الشعر ومعانيه بلون إسلامي واضح، يتفق وهذا الالتزام¹.

أبرز آثار الإسلام على الشعر والشعراء :

1- قلّت الفنون الأدبية التي كانت منتشرة قبل الإسلام وتطوّرت بعض الفنون الأخرى وظهرت فنون جديدة، فمع ظهور الإسلام قضي على سجع الكهان الذي يرتبط بالوثنية الجاهلية، وظهر سجع جديد مرتبط بالدين الإسلامي يستخدمه الخطباء في خطبهم .

2- بدأ الشعراء يدعون في شعرهم ما تعلّموه من الإسلام، وبدأت تظهر أنماط جديدة من الشعر كشعر الجهاد، والفتوح الإسلامية، والشعر الديني وأصبح شعرهم يتصل بالقيم والمثل الإسلامية .

3- حافظ الشعراء على أغراض الشعر التقليدية التي استخدموها قبل الإسلام، على سبيل المثال المديح فظهر ما يسمّى بالمديح النبوي، وهو مدح الرسول الكريم، ومن رواده حسّان بن ثابت الأنصاري، وهذا مثال على شعره :

وأجمل منك لم ترَ قطُّ عيني وأعظم منك لم تلدِ النساءِ

خُلِقَتْ مبرّاً من كلّ عيب كأنّك قد خُلِقَتْ كما تشاء

4- استخدام الشعر لوصف المعارك والفتوحات الإسلامية التي خاضها المسلمون، وتصوير بطولات الصحابة الفردية والجماعية ووصف شجاعتهم وثباتهم الشديد وتصوير هول المعارك، ويقول الشاعر بشر بن ربيعة الخثعمي في معركة القادسية :

تذكّر - هداك الله- وقع سيوفنا بباب قديسٍ والمكرُّ عسيرُ

عشية ودَّ القوم لو أنّ بعضهم يُعار جناحيّ طائرٍ فيطير

5- استخدام الفخر الذي كان منتشرًا في شعر الجاهلية، واستمرّ بأنواعه المختلفة فاستخدموه لتصوير الشجاعة، والكرم، والعفة، وأيضاً للافتخار في الجهاد، والإيمان، والتقوى، والخوف من النار، فيقول النّابغة الجعدي :

أقيم على النّقوى وأرضى بفعلها وكنت من النّار المخوفة أحذرا

المحاضرة الرابعة- الشعر السياسي في العصر الأموي

عندما يرتبط مفهوم الأدب عمومًا والشعر خصوصًا بالسياسة فلا بد من توضيح معنى كل لفظة على حدة، ثم توضيح مفهوم الشعر السياسي، فإن لفظة السياسة تعني الرياسة وتدبر شؤون الرعية وتولي مهامهم، وهي في العصور السابقة مثل العصر الأموي والعباسي كانت تُستعمل للدلالة على الخلافة والولاية، أما لفظة

1 - النعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية الطبعة: الأولى 1426هـ-2005م، ص.283- 285.

الشعر فهي تعني الأدب ونظم الكلام المنمق الموزون، وبذلك يكون الشعر السياسي هو الكلام الموزون الذي يكون الحكم والخلافة وشؤون الرعية موضوعاً له¹. قد كان الشعر السياسي في العصر الأموي واضحاً أكثر من غيره في عصور أخرى، ومما يجدر ذكره في الحديث عن مفهوم الشعر السياسي في العصر الأموي أن هذا الشعر يتحدث عن الحكم وتدبير شؤون الرعية بالمدح تارة وبالنقد أحياناً، وقد يتطرق إلى أمور الحرب والخلافات والمشاحنات بين الطوائف، ولهذا الشعر أعلامه وشعراؤه الذين أبدعوا فيه، وهو ليس وليد العصر الإسلامي، إنما اكتملت أفكاره وخصائصه في العصر الإسلامي.

بدأ العصر الأموي سنة 42 هـ بسيطرة معاوية بن أبي سفيان عنه ، على الدولة الإسلامية ، ثم انتهى سنة 132 هـ ، بسقوط الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية ، وانتقال الخلافة إلى بغداد ، ولقد مرّ الشعراء بحالة من الركود في العصر الإسلامي ، ولما قامت الدولة الأموية انطلق الشعر مزدهراً مرة أخرى في كل المجالات كما كان في العصر الجاهلي بسبب تعدد الأحزاب السياسية وكثرة المفاخرة بين الشعراء ، بالإضافة إلى فساد الحكم وإطلاق حرية التعبير فازدهر شعر الغزل بنوعيه : العفيف والصريح ، وظهر شعر النقائض على ألسنة الشعراء تقدم النثر في العصر الإسلامي على الشعر لنزول القرآن نثراً وكذلك الحديث الشريف وقد استمر ازدهار النثر في العصر الأموي ، وتعددت فنونه نظراً لتعدد الأحزاب السياسية في هذا العصر وشدة الصراع بينها، وحاجة كل حزب إلى متحدثين بارعين في فن القول يؤيدون مبادئه ويهدمون مبادئ غيره.

ومن المعلوم أنه بعد انتهاء الخلافة الراشدة وانتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية انتقل الكثير من القبائل العربية إلى المدن الواقعة في الإطار الجغرافي للدولة الإسلامية ، في بدايات العصر الأموي وانتقال العاصمة إلى دمشق ، لم ترغب الكثير من القبائل بالانتقال إليها وذلك بسبب تواجد مركز القوة فيها وفضلوا الانتقال إلى المدن التي يكون تأثير الخليفة فيها أضعف خاصة إن عدداً منهم في صراع معاوية مع علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وقفوا إلى جانب علي رضي الله عنه ، كما إن الحروب المستمرة على الحدود الشمالية حدثت من إمكانية التبادل التجاري مع الدولة البيزنطية وبالتالي إلى خسائر مادية ليست بالقليلة ، لذلك فضلت هذه القبائل الانتقال إلى مدن العراق الغنية نظراً للإمكانيات الزراعية الكبيرة التي وفرتها الظروف الطبيعية من ري وأرض خصبة ، وقد أدى غنى هذه المدن إلى استقطاب الكثير من الشعراء الذين امتهنوا حرفة الكتابة.

وأدى الانتقال من الحياة البدوية إلى الحياة الحضرية في البصرة والكوفة ثم لاحقاً في دمشق إلى تغيرات كبيرة في الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والأدبي وتطورت الحياة الفكرية لتشمل الخلفاء والحاشية ، من أمراء وكبار موظفي الدولة وأشراف المدن بغض النظر عن منشئهم .

خصائص الشعر السياسي في العصر الأموي : كانت القصيدة الأموية لها أثر بارز في تغيير الكثير من خصائص الشعر العربي، ولا سيما القصيدة السياسية، فقد اتسمت بخصائص وسمات مميزة في الشعر العربي، وذلك كان متوافقاً مع موضوعات السياسة التي تناقشها، ومن هذه الخصائص:

¹ _ أحمد محمد الحوفي، أدب السياسة في العصر الأموي، ص 7-8. بتصرف.

وحدة الغرض: بعد أن مرّ على الشعر العربي حقب طويلة تعددت فيها أغراض القصيدة من وقوف على الأطلال إلى الغزل إلى المدح، انتقلت القصيدة في العصر الأموي إلى وحدة الغرض، لا سيما الشعر السياسي الأموي، فقد اتسمت قصائده بطرح غرض واحد من أول القصيدة إلى آخرها. وحدة اللغة: لجأ الشعراء السياسيون في العصر الأموي إلى اعتماد لغة واحدة في القصيدة التي ينظمونها، فلا ينوعون في اللغة الشعرية، كما كان الشعر في عصور سبقتهم، وذلك لتتناسب اللغة الموحدة مع الغرض الواحد في القصيدة. عرض الحجج: كثرت في الشعر السياسي المناقضات بين الشعراء، وظهر ما يُعرف بشعر النقائض، وهذا النوع من الشعر فرض على الشعراء أن يدلّوا بحججهم وبراهينهم وأدلتهم التي تدحض رأي الطرف الآخر وتغلبه.

الصورة المثالية للدين: عمل الشعراء الأمويون الذين خاضوا مجال الشعر السياسي على عرض الدين الإسلامي بصورة مثالية في أشعارهم، محاولين توضيح مدى التوافق بين طانفتهم التي يدافعون عنها وبين تعاليم الدين الإسلامي.

المطالبة بالحقوق: اهتم الشعراء السياسيون الأمويون في قصائدهم السياسية التي يرثون فيها أحبابهم وقادتهم بأن تكون قصائدهم بمثابة وثيقة سياسية، لا أن يكتفوا بالبكاء والندب والتأبين، بل كانوا يطالبون بحقوقهم من أعدائهم في قصائد الرثاء التي ينظمونها. أسباب ظهور الشعر السياسي في العصر الأموي :

إنّ الشعر السياسي في العصر الأموي لم يكن أمرًا جديدًا بالمطلق، فثمة أشعار سياسية تعود للعصر الجاهلي، إلا أن القالب المتكامل والشكل النهائي للشعر السياسي ظهر في العصر الأموي ورست قواعده، ولهذا الظهور أسباب عدة:

تثبيت دعوة الأمويين: علم الأمويون علم اليقين أنهم يحتاجون إلى ما يثبت دعوتهم، ويرسخ مبادئ ولايتهم أمام أعدائهم والأحزاب المعارضة لهم مثل العلويين والخوارج والزبيريين، ولذلك وجدوا أن الشعر هو أفضل وسيلة لتثبيت الدعوة وتمتين أركانها، فبدأ الشعر السياسي .

كثرة الأحزاب والخلافات: بعد وفاة الرسول الكريم وظهور الفتن الكثيرة انقسم الناس إلى أحزاب وطوائف، وبلغت الخلافات ذروتها بعد وصول بني أمية للخلافة، فأخذت كل طائفة تحث شعراءها على نظم الشعر السياسي الذي ينتقد الطرف الآخر ويهجوّه، ويمدح قائد هذه الطائفة ويرفع شأنه.

المطالبة بعودة الحقوق: ظهرت أنماط عدة من الشعر السياسي وكل طرف فيه يطالب بحقه من الخلافة، مثل الهاشميين الذين طالبوا بعودة الخلافة إليهم، فهم أحقّ بها وأولى، وكذلك كل طائفة أخذ شعراؤها ينظمون شعراً سياسياً يوافق أهواءهم ومطالبهم.

أبرز شعراء الشعر السياسي في العصر الأموي: انقسم شعراء السياسة في العصر الأموي إلى أربعة أحزاب، ولكل حزب اسم خاص به، وشاعر كل حزب يهجو الآخر وينتقده ويراه عدواً كارهاً له، وفي الوقت نفسه كان بعض الشعراء ينتقلون بين الأحزاب في أشعارهم بما يتوافق مع مصالحهم، أو بسبب خوفهم من بطش الخليفة وعقابه، وهذه الأحزاب هي: العلويون، والزبيريون، والخوارج، وبني أمية.

شعراء العلويين كان عدد شعراء العلويين كثيراً، إلا أنهم لم يظهروا للعلن خوفاً من الأمويين، ومنهم : الفرزدق: كان من الشعراء الذين مالوا إلى بني أمية وامتدحهم طمعاً بمالهم وعطاءاتهم مع أنه ينتمي لحزب العلويين، واتسم شعره بقوة اللفظ، وسرعة الخاطرة، واشتهر بالنقائض بينه وبين جرير. الكميت بن زيد:

هو شاعر سياسي في العصر الأموي، لكن لم يُعرف له موقف ثابت، فبعض أشعاره كانت لصالح بني أمية، وبعضها كان لصالح العلويين الذين ينتمي إليهم، وقد اشتهر بقصائد طويلة معروفة بالهاشميات. شعراء الزبيريين: قلَّ عدد شعراء الزبيريين، وتميزوا بتقلب أهوائهم وعدم ثبات آرائهم، ومنهم: عبيد الله بن قيس الرقيات: شاعر زبيري عاش في العصر الأموي، وكان يكره بني أمية كرهاً كبيراً، ولكنه في الوقت نفسه انحاز لبني أمية وطلب حماية عبد الملك بن مروان وامتدحه بعد موت مصعب بن الزبير. إسماعيل بن يسار النسائي: من شعراء الزبيريين القلة الذين كانوا متقلبي الأهواء في معظمهم، ولم يرد عنه الكثير من الأخبار إلا أنه من شعراء السياسية في العصر الأموي التابعين للزبيريين.

شعراء الخوارج: كان شعراء الخوارج في أغلبهم من أبطال المعارك أو الفحول، ومنهم: الطرماح بن الحكيم: من شعراء الخوارج الذين اتسموا بثبات كلمتهم والابتعاد عن التكسب بمدح الأمويين، ولم يلن أبداً لجانب بني أمية، وكانت ألفاظه قوية جزلة وغريبة، ولغته سليمة متينة. كعب بن عميرة: شاعر من شعراء الخوارج، له أشعار يرثي فيها أحد المقاتلين الخوارج، ويتضح في شعره حب الجهاد والثبات على الرأي والمبدأ الذي يدافعون عنه.

شعراء بني أمية : أكثر شعراء الأحزاب، وكانوا إما ينظمون الشعر تكسباً، أو تعصباً بانتمائهم القرشي وكرهاً بمنائهم من الأحزاب الأخرى، ومنهم: الأخطل: أحد شعراء بني أمية الكثر، والذين كان هدفهم الأول من الشعر هو التكسب من عطايا الخلفاء، إلا أن مدائحه للأمويين كانت قوية اللفظ لا يجاريه فيها شاعر آخر. جرير: من شعراء بني أمية ومادحي ملوك الأمويين وخلفائهم، وهو أكثر الشعراء شهرة في العصر الأموي بشعره في مدح الخلفاء، وهجاء الأعداء وذمهم.

المحاضرة الخامسة التجديد والثورة على القديم في الشعر العباسي:

تغير حياة المجتمع الإسلامي تغيراً هائلاً، إلا أنَّ معظم الدارسين يجمعون على أنَّ أدب العصر الأموي بقي امتداداً للحياة الأدبية الجاهلية، ولم يتغير إلاَّ تغيراً طفيفاً وجزئياً. فالحزازات القبلية ظلت مادة عزيزة في الشعر الأموي؛ كالنقائض والشعر السياسي الذي اقترن بظهور الأحزاب السياسية، فكانت الشام والعراق مسرحاً لها. في حين ظهر في الحجاز الغزل الرقيق بنوعيه العفيف والماجن؛ نظراً لانتشار الترف والغناء في هذا المجتمع بسبب ما أغدقه الخلفاء على هذا المصر. ويصف شوقي ضيف ناحية التجديد في هذا الفن فيقول: «غزل عمر بن أبي ربيعة جديد في تاريخ الشعر العربي من حيث المرأة التي يتغزل بها، فهي امرأة متحضرة أتيح لها من الفراغ وأسباب زينة الحياة ما لم يتح للمرأة الجاهلية».

وناحية التجديد في هذا العصر بدأت تأخذ شكلها بداية من نهاية ق2هـ، وذلك بتأثير العوامل المختلفة التي أثرت في شكل الحياة الاجتماعية الإسلامية تأثيراً خطيراً؛ كظهور الشعر المذهبي (الكميت بن يزيد) في هاشمياته، كما ظهر نهاية الدولة الأموية الشاعر الوليد بن يزيد بن معاوية حاملاً لواء حركة تجديدية، حيث يعتبر أول من فتح باب الإباحة والتعبير الحر عن مختلف نوازع النفس وشهواتها، كما أنه غيّر في لغة الشعر باختيار اللغة المألوفة في الحياة اليومية، وأغرى الشعراء بهجر الصياغة القديمة والأسلوب الجزل الرصين. كما اقتصر على المقطوعات دون القصائد التقليدية المطولة.

وأخذت حركة التجديد تسري في مطلع ق2هـ وتضطرم بعنف بعمود الشعر القديم ومنهجه وقوالبه. ومما أعان أيضاً على وجود هذه الحركة ظهور طبقة جديدة من ناحية جنسها؛ إذ كانت مزيجاً بين العرب وبين الأجناس الأخرى سميت بالطبقة المولدة، والتي كانت تكتسب خصائص نفسية وطرائق تفكير تختلف عن العربية. إلى

جانب إتقانهم للغة العربية ولغاتهم الأصلية، فلم تكن القوالب الجاهلية تلائم الفم وتقتحم السمع. كما أنّ الرابطة العاطفية انعدمت بينهم وبين معالم الحياة العربية الجاهلية؛ بما فيها من أطلال ونوى وبعر الأرام وغيرها. كما أنّ سبب انكماش القصائد المطولة في ق2هـ هو أنّ الشاعر أصبح يُحدِّد قصيدته بفكرة واحدة.

وباعتبار أن هؤلاء الشعراء لا يرتبطون بالحياة العربية القديمة بأية عاطفة تدعوهم إلى الحفاظ على تقليد شعري قديم نجد أبا نواس يعبر تعبيراً صادقاً عن ذلك بقوله:

ما لي بدارٍ خَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا شُغْلُ وَلَا شَجَانِي لَهَا شَخْصٌ وَلَا طَلُّ
وَلَا رُسُومٌ وَلَا أَبْكِي لِمَنْزِلَةٍ لِلْأَهْلِ عَنْهَا وَلِلْجِيرَانِ مُنْتَقَلُ
وَلَا شَتَوْتُ بِهَا عَاماً فَأَدْرَكَنِي فِيهَا الْمَصِيفُ فَلِي عَنْ ذَلِكَ مُرْتَحَلُ
وَلَا شَدَدْتُ بِهَا مِنْ خِيَمَةٍ طُنْباً جَارِي بِهَا الضَّبُّ وَالْجِرْبَاءُ وَالْوَرَلُ
لَا الْحَزْنَ مَنِي بِرَأْيِ الْعَيْنِ أَعْرِفُهُ وَلَيْسَ يَعْرِفُنِي سَهْلٌ وَلَا جَبَلُ
لَا أَنْعَثَ الرُّوضِ إِلَّا مَا رَأَيْتُ بِهِ قَصِراً مِنْيفاً عَلَيْهِ النَّخْلُ مُشْتَمِلُ

ومن أمثلة التجديد في مطالع القصائد ما نجده عند أشجع السلمي في مدحه للرشيد فيبدوها بهذا الوصف الماجن للخم:

لَا عَيْشَ إِلَّا فِي جُنُونِ الصَّبَا فَإِنْ تَوَلَّى فَجُنُونُ الْمَدَامِ
كَأْسٌ إِذَا مَا الشَّيْخُ وَالِي بِهَا خَمْساً تَرَدَّى بِرِدَاءِ الْغُلَامِ
ظَاهِرَةُ الْحُسْنِ إِذَا جُرِدَتْ لَطِيفَةُ الْمَسْلُوكِ بَيْنَ الْعِظَامِ
لَمْ يُشَبِّ الدَّهْرُ لَهَا مَفْرِقاً أَخْرَجَهَا مِنْ دَيْهَا بِنْتَ عَامِ
كَأَنَّهَا الْمِسْكُ إِذَا صُفِّقَتْ حَدِيثُهُ الْعَهْدِ بِفَضْلِ الْخِتَامِ
كَرْخِيَّةٌ قَدْ مَاتَ أَتْرَابُهَا كَرِيمَةٌ تُوْهِى بِعَقْلِ الْكِرَامِ
تَذَكَّرُ كِسْرَى وَهِيَ فِي مَهْدِهِ وَقَيْصَرًا مِنْ قَبْلِ حِينَ الْفِطَامِ
هَارُونَ يَحْمِي مُلْكَ آبَائِهِ وَرَبُّ هَارُونَ لِهَارُونَ حَامِي
خَلِيفَةُ مُؤَنَسَةٍ سَيْفُهُ مُشَاوِرٌ لِلرَّأْيِ لَا لِلْأَنَامِ

أما تأثير الشعوبية فقد كانت دعوة عامة بين الشعراء ولم تكن لدى أبي نواس وحده. فقد شاركه فيها بشار بن برد، يقول أبو نواس

عَاجَ الشَّقِيِّ عَلَى دَارٍ يُسَائِلُهَا وَعُدْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَارَةِ الْبَلَدِ
لَا يَرْقِي اللَّهُ عَيْنِي مَنْ بَكَى حَجَرًا وَلَا شَفَى وَجَدَ مَنْ يَصْبُو إِلَى وَتَدِ
قَالُوا ذَكَرْتَ دِيَارَ الْحَيِّ مِنْ أَسَدٍ لَا دَرَ دَرُكَ قُلْ لِي مَنْ بَنُو أَسَدِ

وَمَنْ تَمِيمٌ وَمَنْ قَيْسٌ وَإِخْوَتُهُمْ لَيْسَ الْأَعَارِبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ

كما أننا نجد أبا نواس -خاصة في مدائحه- يتردد بين المذهب القديم والجديد طوال حياته، فهو أحياناً يمدح هارون الرشيد على الطريقة القديمة فيذكر الأطلال ويصف راحلته التي أوصلته إلى الممدوح فيقول:
وقال أيضاً:

الكامل

حَيِّ الدِّيارِ إِذِ الزَّمَانُ زَمَانُ وَإِذِ الشِّبَاكُ لَنَا حَوَى وَمَعَانُ

يَا حَبْدًا سَفَوَانُ مِنْ مُتَرَبِّعٍ وَلَرْبَمَا جَمَعَ الْهَوَى سَفَوَانُ

وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى الدِّيارِ مُسَلِّمًا فَلِغَيْرِ دَارٍ أُمِيمَةٍ الْهَجْرَانُ

وأبو نواس أحياناً أخرى يمدح الرشيد فيبدأ قصيدته بأبيات قليلة يذكر فيها الأطلال، وكأنما كان ذلك تعمية منه لما يضمره في نفسه من رغبة في وصف الخمر، ويبدو أنه كان متردداً حذراً في مدح الرشيد على المذهب الجديد يقول:

لَقَدْ طَالَ فِي رَسْمِ الدِّيارِ بُكَائِي وَقَدْ طَالَ تَرْدَادِي بِهَا وَعَنَائِي

كَأَنِّي مُرِيغٌ فِي الدِّيارِ طَرِيدَةٌ أَرَاهَا أَمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي

فَلَمَّا بَدَأَ لِي الْيَأْسُ عَذِيَّتُ نَاقَتِي عَنِ الدَّارِ وَاسْتَوَلَى عَلَيَّ عَزَائِي

إِلَى بَيْتٍ حَانَ لَا تَهْرُ كِلَابُهُ عَلَيَّ وَلَا يُنْكِرَنَّ طُولَ ثَوَائِي

وَكَأْسٍ كَمِصْبَاحِ السَّمَاءِ شَرِبْتُهَا عَلَى قُبْلَةٍ أَوْ مَوْعِدٍ بِإِقَاءِ

وقد كان يفعل ذلك مع الرشيد فلما تولى الأمين الخلافة وقد كان يتمتع بالحرية الدينية التي كان يمارسها، وجد أبو نواس الفرصة سانحة للخروج على المذهب القديم. وقد كانت أولى قصائده يوم هنأه بالخلافة على المذهب الجديد وقد قدّم لها بهذا القول: «يا أمير المؤمنين إنّ شعراء الملوك قبلي شربوا بالمدّر والحجر والشاء والبقر والصوف والوبر فغلظت طباعهم واستغلقت معانيهم...» وقد بدأ هذه القصيدة بهذا الشكل:

أَلَا دَارَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى ثَلِيْنَهَا فَلَنْ تُكْرِمَ الصَّهْبَاءَ حَتَّى تَهَيِّنَهَا

وحين أحسّ أبو نواس برضى الخليفة عن هذا المذهب الجديد تقدم خطوة أخرى في قصيدة تالية فمزج وصف الخمرة بالغزل بالمذكر فقال:

يَسْقِيكَهَا ذُو قُرْطَقٍ يُلْهِي وَيُعْجِلُ مِنْ حَبَسِ

حَنْثُ الْجُفُونِ كَأَنَّهُ ظَبْيُ الرِّياضِ إِذَا نَعَسِ

أَضْحَى الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ لِلدِّينِ نَوْراً يُقَبِّسُ

وقد استغل خصوم الأمين هذا المذهب الجديد في السياسة فأزروا عليه وأعلنوا للناس مروقه عن الدين، وإلا كيف يسمح لشاعر بمثل هذه القصائد التي لا يجب أن تقال إلا في الحانات.

خلاصة القول أنه يمكننا حصر عناصر الخصومة بين القدماء والمحدثين في اختلافهم على جزئيات عمود الشعر وعلى نهج القصيدة أيضا. وفي الإتيان بفكرة استنفاد القدماء للمعاني، فأغلب ما في هذه الخصومة كان دائرا حول تجديد المحدثين لمعاني الأقدمين وذلك عن طريق وضعها في صورة شعرية جديدة. فعمود الشعر كما فهمه الأقدمون وقرره المرزوقي هو سبعة أبواب: (شرف المعنى وصحته، جزالة اللفظ واستقامته، الإصابة في الوصف، المقاربة في التشبيه، التحام أجزاء النظم والتئامها مع تخير من لذيذ الوزن، مناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكل اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينها). ومما لا شك فيه أن الشعراء المجددين في ق2 هـ قد خرجوا على هذا العمود في بعض نواحيه، يقول ابن الأعرابي عن شعر المحدثين: «إن كان هذا شعرا فما قالته العرب باطلا». وهل كان من الممكن أن يهضم ابن الأعرابي -الذي يعيش بعلمه وروحه في التراث الجاهلي والبيئة العربية القديمة- معنى لأبي نواس متأثرا بعلم الكلام كما في قوله:

يَا عَاقِدَ الْقَلْبِ مِنِّي هَلَّا تَذَكَّرْتَ حَلًّا
تَرَكْتَ جِسْمِي عَلِيًّا مِنْ الْقَلِيلِ أَقَلًّا
يَكَادُ لَا يَنْجِرَا أَقَلَّ فِي اللَّفْظِ مِنْ لَا

أو ما شابه ذلك من المعاني التي أدخلتها الحضارة الجديدة وثقافة العصر التي نقلت المجتمع الإسلامي نقلة ضخمة.

وهناك من النقاد المحدثين من يشككون في قيمة هذا التجديد إذ نجد طه حسين يعتقد أن «كل ما عرف العرب من اختلاف في الشعر بين القدماء والمحدثين اختلاف في اللفظ نشأت عنه مدرسة مسلم بن الوليد وغيره من أصحاب البديع، واختلاف في المعنى نشأت عنه مدرسة أبي نواس وغيره من الذين آثروا اللفظ القديم والمعنى الجديد ولم يتكلفوا بديعا. وهو على خطره لم يغير الشعر في موضوعه ولا في صورته ولا في نوعه. ولم يتغير في لفظه ومعناه إلا تغيرا قليلا جدا».

5- الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي:

5-1- شعر المجون:

المجون هو ارتكاب الأعمال المخلة بالأداب والأعراف والتقاليد دون تستر واستحياء، وهو ظاهرة خطيرة في أي مجتمع. وهذه الظاهرة في الشعر العربي يرتبط ظهورها بالق2 هـ، وقد كان لحياة الفرس نصيب في انتشارها في المجتمع العباسي. وينسب العديد من الباحثين أن الكوفة كانت مصدر كل إشارات المجون والزندقة في الشعر العربي، فالمجون الذي ظهر في شعر بغداد إنما مصدره الكوفة، فتاريخ بغداد لا يشير إلى أن أحدا من المجان دعا إلى لذة وإلى لهو جهرا قبل أن يظهر أبو نواس؛ الذي كان تلميذا أمينا لمدرسة الكوفة وأحد خريجها. ونلمح ارتباطا وثيقا بين تيار المجون وتيار الزندقة في ق2 هـ، ويمكننا اعتبار المجون أولى درجات الزندقة؛ إذ إنه يدعو إلى التحلل الأخلاقي ونبذ التقاليد والأداب بدعوى الحرية الفكرية. والأكد أن تيار المجون لم يكن نزعة بريئة ساذجة يدعو إليها الترف والتظرف الاجتماعي فحسب، ولكن كان نتيجة مؤثرات عميقة كالمذاب الدينية والفكرية. ولعل أول مظاهر المجون الذي نجده عند الشعراء هو مجاهرهم بارتكاب المحارم علنا دون مواربة أو استتار، واتخاذهم أسلوب التصريح لا التلميح. ونرى ذلك واضحا في قصيدة عمار ذي كنز التي أولها:

أَسْتَهِي مِنْكَ مِنْكَ مِنْ كِ مَكَانًا مُجَنَّبًا

مُفْعَمًا فِي قُبَالَةٍ بَيْنَ رُكْنَيْنِ رَبَّذَا

كما نراه واضحا عند الأقيشر الذي يقول عنه صاحب الأغاني كان كوفيا خليعا ماجنا مدمنا شرب الخمر.
والأقيشر يجهر بتركه للصلاة دون تحرج، يقول:

إِذَا صَلَّيْتُ خَمْسًا كُلَّ يَوْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِي فُسُوقِي
وَلَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّ النَّاسِ شَيْئًا فَقَدْ أَمْسَكْتُ بِالْخَبْلِ الْوَثِيقِ
وَهَذَا الْحَقُّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءٌ فَدَعَنِي مِنْ بُنْيَاتِ الطَّرِيقِ

كما نجد شاعرا آخر من أنصار هذا الاتجاه وهو أبو دلالة الذي عاش زمن المنصور ومن مجونه:

لَقَدْ كَانَ فِي قَوْمِي مَسَاجِدُ جَمَّةٌ وَلَمْ يَنْشَرْحْ يَوْمًا لِعِشْيَانِهَا صَدْرِي
وَوَاللَّهِ مَا لِي نِيَّةٌ فِي صَلَاتِهِ وَلَا الْبِرُّ وَالْإِحْسَانُ وَالْخَيْرُ مِنْ أَمْرِي
والوليد بن يزيد يعتبر من أئمة المجان في ق2هـ، وهو يسير على المبدأ نفسه فيقول:

أَشْهَدُ اللَّهَ وَالْمَلَائِكَةَ الْأَبَّ رَارَ وَالْعَابِدِينَ أَهْلَ الصَّلَاحِ
أَنْنِي أَشْتَهِي السَّمَاعَ وَشَرْبَ الزُّرْ رَاحَ وَالْعَضَّ فِي خُدُودِ الْمَلَّاحِ
وَالنَّدِيمَ الْكَرِيمَ وَالْخَادِمَ الْفَا رِهَ يَسْعَى عَلَيَّ بِالْأَقْدَاحِ
يَفْهَمُ الْوَحْيَ وَالْإِشَارَةَ بِالْكَفِّ فِ وَيَصْبُو إِلَى هُبُوبِ الرِّيحِ
وَضَرْيَفَ الْحَدِيثِ وَالْكَاعِبِ الطِّفْلِ لَةً تَخْتَالُ فِي سُمُوطِ الْوُشَاحِ

دون أن نغفل في هذا السياق عصابة المجان، والتي كانت تضم ثلثة من الشعراء منهم: (أبان اللاحقي، الحسين بن الضحاك، دعل الخزاعي، مسلم بن الوليد، والبة بن الحباب، محمد بن رياح، أحمد بن روح، الجمار، الشمقمق، حماد عجرد، مطيع بن إلياس، يحيى بن زياد، وابن أبي عيينة).

فبشار بن برد يدعو إلى اللذة دون نظر إلى اللوم والساخطين فيقول:

تَرَقَّبْ فِينَا الْعَاذِلِينَ عَلَى الْهَوَى وَمَا نَالَ عَيْشًا قَبْلُنَا مَنْ تَرَقَّبَا
إِذَا نَحْنُ لَمْ نَنْعَمْ شَبَابًا فَإِنَّمَا شَقِينَا وَلَمْ يَحْزَنْ لَنَا مَنْ تَشَبَّيَا

وهو يجاهر باللذة مرة أخرى ويسهل للناس ارتكابهم للمحرمات فيقول:

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ
قَالُوا حَرَامٌ تَلَاقِينَا فَقَدْ كَذَّبُوا مَا فِي التِّزَامِ وَلَا فِي قُبْلَةِ حَرَجُ

ونجد هذه الناحية واضحة عند أبي نواس الذي لا يكتفي بالمجاهرة بل على الإصرار على المضي في الفساد فيقول:

وقال أيضاً:

مجزوء الرمل

لَسْتُ بِالتَّارِكِ لَدَا تِ النَّدَامَى لِلصَّلَاحِ
قُلْ لِمَنْ يَبْغِي صِلَاحِي بَعْتُ رُشْدِي بِطَّلَاحِي
أَطِيبُ اللَّذَاتِ مَا كَا نَ جِهَاراً بِإِفْتِصَاحِ

وهو في موضع آخر يعترف بتحريم ما يرتكبه ولكن يستشعر اللذة في هذا التحريم فيقول:

وَإِنْ قَالُوا حَرَامٌ قُلْ حَرَامٌ وَلَكِنَّ اللَّذَاذَةَ فِي الْحَرَامِ

ومما تقدم يتبين لنا أنَّ تيار المجون كان يلتقي دائماً بشعر الخمریات وشعر الغزل؛ ولكن الغزل الخليع الماجن. كما عرف الق2هـ أنواعاً أخرى من شعر المجون والانحرافات الجنسية كحب الذكور للذكور كما يتضح في شعر حماد عجرد ومطيع بن إياس و أبو نواس، كما عرف حب الإناث للإناث كما يتضح في قصيدة أبي العتاهية:

أَلَا يَا ذَوَاتِ السَّحَقِ فِي الْعَرَبِ وَالشَّرْقِ أَفَقَنْ فَإِنَّ الْأَيْرَ أَشْفَى مِنَ السَّحَقِ
أَفَقَنْ فَإِنَّ الْخُبْزَ بِالْأَدَمِ يُشْتَهَى وَلَيْسَ يَسُوعُ الْخُبْزُ بِالْخُبْزِ فِي الْخَلْقِ
أَرَاكُنَّ تَرْقَعَنَّ الْخُرُوقَ بِمِثْلِهَا وَأَيُّ لَيْبٍ يَرْقَعُ الْخَرَقَ بِالْخَرَقِ
وَهَلْ يَصْلُحُ الْمِهْرَاسُ إِلَّا بِعَوْدِهِ إِذَا احْتِيجَ مِنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الدَّقِّ

خلاصة القول أنَّ تيار المجون كان اتجاهاً من اتجاهات الشعر العربي في ق2هـ ولم يظهر من قبل.

5-2- الزندقة:

ظهرت الزندقة أواخر ق1هـ وبداية ق2هـ، وكان ظهورها بالعراق حيث العناصر الفارسية والمعتقدات والمذاهب التي يجمعها مفهوم الزندقة. وظهرت في الكوفة بالذات مختلطة بأنواع المجون والتهتك، ومن أسباب ظهورها عدم المبالاة بالدين نظراً لوجود عدد كبير من الفرس المسلمين ومن غيرهم الذين اعتنقوا آراء دينية بعيدة، كل البعد عن الإسلام؛ إما موروثاً عن أجدادهم، أو نتيجة لاتصالهم بالأجانب.

يرى طه حسين أنَّ الزندقة عراقية أنها فارسية، وقد نجد تأثيراً قليلاً لليونان وفلسفتهم. وزندقة ق2هـ ضرب من السخط على العرب وعاداتهم وأخلاقهم ومحافظتهم ودينهم بشكل عام. والزندقة الأدبية كانت في عصر بني أمية ضعيفة مترددة مستترة، فلما اجترأ خليفة من بني أمية على أن يجهر بالفجور قويت واستطاعت أن تظهر، ثم انتصر الفرس في الدولة العباسية فانتصرت معهم.

وقد كان أثر الشعوبية كبير في قوة تيار الزندقة، وكان الشعوبيون يهدفون إلى تحطيم معنويات المسلمين ودس الأكاذيب والمفتريات في أصول دينهم حتى ينتقموا لأصولهم الفارسية ومذاهبهم ومعتقداتهم القديمة. ويذكر لنا الطبري في تاريخه أن عبد الكريم بن أبي العوجاء لما أيقن أنه مقتول قال: «والله لئن قتلتموني، لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل فيها الحرام، والله لقد فطرتكم في يوم صومكم، وصمتكم في يوم فطركم». وعبد الكريم هذا هو الذي يقول فيه بشار مصرحاً بكفره وزندقته:

قُلْ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ يَا ابْنَ أَبِي الْعَوِّ جَاءَ بَعْتُ الْإِسْلَامَ بِالْكَفْرِ مَوْقَا

لَا تُصَلِّي وَلَا تَصُومُ فَإِنَّ صُومَ
لَا تُبَالِي إِذَا أَصَبْتَ مِنَ الْخُمِ رِعْتِيقًا أَنْ لَا تَكُونَ عَتِيقًا
أَلَيْتَ شِعْرِي غَدَاةً خُلِّيتَ فِي الْجِي دِ حَنِيفًا خُلِّيتَ أَمْ زَنْدِيقًا

وكان ب روكلمان لا يستبعد هذا التأثير لأنه يذكر أنَّ المانوية لا الزردانثية الخالصة كانت لا تزال تفرض سلطانها الكبير على أولئك الذين دخلوا حديثاً في الإسلام، ولم يرتاحوا ارتياحاً كلياً لشعائره الصارمة.

وبعض الدارسين كعبد الرحمن بدوي في كتابه تاريخ الإلحاد يرى أنَّ هناك رابطة بين الزندقة والتشيع؛ لأن كتب الفرق جميعاً تكفّر كثيراً من المذاهب الشيعية، وهي خارجة عن الإسلام ومنها: البينانية والمغيرية والحربية والمنصورية والجناحية والروافض كالزيدية والإمامية.

وخلاصة القول أن شعراء الزندقة لم يكونوا جميعاً شعوبيين أو من غلاة الشيعة، بل كانوا أنواعاً كثيرة تحتها على الزندقة دوافع ثلاثة وهي:

-الدافع الديني.

-الدافع السياسي.

-الدافع الحضاري والفكري.

ويمكننا أن نضيف دافعا رابعا وهو دافع اجتماعي، والطائفة التي خضعت له واتخذت الزندقة وسيلة من وسائل التطرف وحسن المنادمة، وسمة من الرقي الثقافي والاجتماعي. ويصعب علينا تقسيم الشعراء الذين اهتموا بالزندقة بحسب هذه الدوافع فلربما وجدنا وراء الشاعر دوافع كثيرة. وأول هؤلاء هو الوليد بن يزيد الخليفة الأموي يقول عنه أبو الفرج الأصفهاني: «كان فاسقا خليعا متهما في دينه مرميا بالزندقة، وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره»¹، وهو يرجع السبب في ذلك إلى مؤدبه عبد الصمد بن عبد الأعلى وكان زنديقا ممعنا في الزندقة، وقد روى المرتضى عن المرزباني أنه كان ينكر الحساب ودليله في ذلك قوله:

يذكرني الحساب ولست أدري أحقا ما يقول من الحساب

والوليد ينكر البعث إنكارا صريحا في البيتين اللذين وردا في رسالة ابن القارح إلى أبي العلاء حيث يقول:

إذا مت يا أم الحنيكل فانكحي ولا تألمي بعد الفراق تلاقيا

فإن الذي حُدِّثته من لقائنا أحاديث طسم تترك العقل واهيا

وفي معنى البيت الثاني من البيتين اللذين رواهما المسعودي عن المبرد، حكى عن الوليد أنه استفتح فألا في المصحف فخرج (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد)، فألقاه ورماه بسهام وقال:

تهددني بجبار عنيد نعم أنا ذاك جبار عنيد

1- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تح. سمير جابر دار الفكر - بيروت الطبعة الثانية، دت، ج.7، ص.6.

إذا ما جئت ربك يوم بعث

فقل يا رب خرّقي الوليد¹

وفي هذين البيتين معنى التجبر وإنكار القدرة الإلهية، وفيها أيضا الشك في يوم البعث.

ويذكر المرتضى عن ثور بن يزيد أن الوليد قال أيضا هذه الأبيات التي تتضح فيها نزعة المجون وعدم الإيمان والاستهتار بالدين يقول:

اسقياني وابن حرب واسترانا بإزار

واتركا من طلب الجنة يسعى في خسار

سأسوس الناس حتى يركبوا دين حمار

ومن شعراء الزندقة نجد حماد عجرد، وهو من الكوفة وكان مانوي العقيدة، يقول عنه أبو نواس: «كنت أتوهم أن حماد عجرد إنما يرمى بالزندقة لمجونه في شعره، حتى حبست في حبس الزنادقة فإذا حماد عجرد إمام من أنمتهم»².

والشاعر علي بن الخليل وهو من الكوفة أيضا من الذين اهتموا بالزندقة في ق.2. هـ اتهمه بها الجاحظ في الحيوان وأبو الفرج في الأغاني وذكروا أنه كان يعاشر صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه، ولهذا اتهم بالزندقة، وطلب معه أيام المهدي لولا أنه هرب وظل متخفيا، إلى أن برأ نفسه واعتذر عن هربه وقال في قصيدة يمتدح بها الرشيد:

والله يعلم في بقيته ... ما إن أضغت إقامة الخمس

ويبدو أن صالح بن عبد القدوس كان له تأثير خطير في صديقه، فلما قتل صالح زال هذا التأثير وعاد إلى الإيمان وصحت توبته كما يتضح لنا من قصيدته التي يقول فيها:

على اللذات والراح السلام ... تقضى العهد وانقطع الذمام

مضى عهد الصبا وخرجت منه ... كما من غمده خرج الحسام

وقرئت على المشيب فليس مني ... وصال الغانيات ولا المدام

وولّى اللهو والقينات عني ... كما ولّى عن الصبح الظلام³

أما أبو نواس فقد اتهمه النقاد القدامى بالزندقة ولم يجمعوا على ذلك، ولا نجد اتهاماً له من قبل الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز والأصفهاني، وغاية ما نجده عند هؤلاء أنه كان شديد المجون مغرقاً فيه، وفرق شاسع بينهما، ومع ذلك فهو يعترف بأنه تاب وأناب قبل وفاته، ويروى عن ابن مسعود بن همام أنه قال: «ما رأيت أحداً أشد اعترافاً بذنوبه عند موته ولا جزعاً مما أتاه من أبي نواس، ولقد قرأت وصيته فكانت: «بسم الله الرحمن الرحيم،

1- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج.2، ص.300.

2- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج.14، ص.316.

3- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج.14، ص.180.

هذا ما أوصى به المسرف على نفسه، المغتر بأمله، المعترف بذنوبه، الحسن بن هانئ أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد ولا مثل وكل معبود سواه باطل...».

وممن يؤيد ثنوية أبي نواس ويحددها بالمانوية أو المزدكية محمد بديع شريف فهو أولا ينقل عن المستشرق (فون كريمر) أنه قال في أبي نواس: «إنه كان واسع الحيلة فاستطاع بذلك أن يستخف بالعقيدة، وينشر الضلال والزندقة، ويتكلم بما يريد دون حياء أو خجل»، ويعقب الكاتب على ذلك بقوله: «ومن مبادئ المانوية إثارة الشك في العقيدة، ومهاجمة جميع الأديان، أما الغزل بالمذكر فإنه ينحدر من أصولها، والباحث لا يقدم دليلا ماديا من شعره يثبت به ما ذهب إليه بل يجمع أمور نظرية مثل المجون والغزل بالمذكر ومهاجمة الدين، ثم يرى أن نتيجتها ينبغي أن تكون زندقة أبي نواس».

أما محمد جابر عبد العال فيرى أن أبا نواس لم يكن ماجنا عابثا فحسب، بل كان يؤمن بقول الغلاة من الشيعة، ويحدد مذهبه بالخطابية، ومن أسس مذهبهم قولهم إن جعفر الصادق إنه وعلى هذا الأساس يكون جبريل خادما له، كما يذكر أبو نواس في مدحه لعلي بن موسى الرضا.

أن لا أستطيع مدح إمام كان جبريل خادما لأبيه

ومن الشعراء الذين اتهموا بالزندقة نجد بشار بن برد وقد اتهمه الجاحظ بذلك، فنسب إليه عقيدة الرافضة من الشيعة إذ قال إنه كان يدين بالرجعة ويكفر كل الأمة، وكان يكفر الصحابة ويكفر علي وكان مرجئيا يقول برجعته إلى الدنيا قبل يوم القيامة كما يقول الروافض وكان يقول كما يقول إبليس بتفضيل النار على الأرض.

وقد وقع بينه وبين المعتزلة تنافر خاصة واصل بن عطاء والذي قال: «أما لهذا الأعمى المكنى بأبي معاذ من يفككه؟ أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه من يبيع بطنه على مضجعه»¹.

ويرى الطاهر بن عاشور المفسر أن سبب الخلاف بين بشار والمعتزلة أنهم كفروا بالخارج لتكفيرهم عليا، وإلى هذا يشير بشار في هجائه لوائل:

عنق الزرافة ما بالي وبالكم تكفرون رجالا كفروا رجلا

وأبو الفرج يروي بعض الروايات التي تثبت أن بشارا لم يكن يقوم بتأدية بعض فرائض الإسلام كالصلاة والحج حتى إنه حين نوى أنه يحج لنفي الزندقة عن نفسه مال إلى محلة في الكوفة يسكر ويفسق، ويروي في موضع آخر أن بشارا كان يؤمن بالفلسفة الحسية التي لا تثبت شيئا إلا إذا عاينته.

أما الباحثون المحدثون فقد تضاربت آراؤهم في زندقة بشار، فنجد المستشرق (فيد) يجعل نزعة الشعوبية أكبر دافع لبشار على الزندقة، أما الدوافع الأخرى فيحصرها فيما طبع عليه بشار من المجون وروح التشاؤم والسخرية من الناس.

أما محمد الطاهر بن عاشور فبعد أن استعرض أكثر أقوال الأقدمين الذين تناولوا عقيدة بشار قال: «إن من يقرأ أخباره وشعره يراه ملتزما عقد الإيمان الصحيح، مخبرا عن نفسه بأداء الصلاة والصوم والحج وشرائع الإسلام»، ولهذا ينكر الأبيات التي تظهر فيها زندقة بشار مثل قوله:

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتنبهوا يا معشر الفجار

النار عنصر و آدم طينة والطين لا يسمو سمو النار

5-3- الزهد:

هل كان أول ظهور للزهد في ق2 هـ أم كان اتجاهها قديما في الشعر؟ يرى المستشرق كارلوفينو أن الزهد من موضوعات الشعر الجاهلي ويعتبر الشاعر عدي بن يزيد العبادي النصراني من الشعراء الزهاد إذ يقول إن دينه حمله مرارا على اعتبار زوال أمور الدنيا وذكر ما هو قريب من الزهد في بعض قصائده فقال مثلا بلسان حال المقابر:

مَنْ رَأَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قَرْنٍ زَوَالٍ
وُخْطُوبُ الدَّهْرِ لَا يَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا عِنْدَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا قُدُمٌ وَعِثَاقُ الْخَيْلِ تَرْدِي فِي الْجِلَالِ
عَمُرُوا دَهْرًا بَعِيشَ حَسَنِ أَمْنِي دَهْرُهُمْ غَيْرَ عِجَالِ
ثُمَّ أَضْحَوْا أَخْنَعَ الْهَرُ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالْجِبَالِ
وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يَرْمِي بِالْفَتَى فِي طَلَابِ الْعَيْشِ حَالًا بَعْدَ حَالِ

إلا أن معظم النقاد يرون أن هذا لا يرقى إلى مراتب الزهد العباسي لأن معظم ما جاء به لم يتعد فكرة زوال الناس وتغير الأزمان والأحوال، وهذه فكرة نجدها عند أي شاعر قديم أو حديث، لأنها فكرة عادية وساذجة لا تبني عليها فلسفة في الزهد، وعلى النقيض من ذلك نجد شوقي ضيف يرى أن الزهد نشأ نشأة إسلامية خالصة، فقد دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية ثم دخلته عهد الفتوح عناصر أجنبية على رأسها عناصر مسيحية كالرهبنة والبودية. كما يرى أيضا أن هذه الحركة قد نشطت في العصر الأموي نظرا لكثرة الحروب وما تجره الحروب دائما من آثار تلجئ الناس إلى الزهادة. ونظرا كذلك لظلم الحكام والولاة يلجأ الناس بالضرورة إلى الله لينجيهم مما هم فيه، وإلى الدين يستمدون منه الصبر وقوة الاحتمال، وقد دُلل على قوله بما وجدته من آثار قوية لهذه الحركة في الشعر الأموي حتى في شعر الفرزدق المشهور بفسقه، وهو يقول في موضع آخر: «لا نبالغ إذا قلنا إن كثيرا من صفحات الشعر الأموي طبع بطابع ديني»، ومن ذلك شعر الطرماح بن حكيم إذ يقول:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ الْعُمِّ رَ وَمَوِدٌّ إِذَا انْقَضَى عَدَدُهُ
عَجَبًا مَا عَجِبْتُ مِنْ جَامِعِ الْمَا لِ يُبَاهِي بِهِ وَيَرْتَفِدُهُ
وَيُضِيعُ الَّذِي يُصَيِّرُهُ اللَّ هُ إِلَيْهِ فَلَيْسَ يَعْتَقِدُهُ
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الْمُخَوَّلَ ذَا الثَّر وَةَ خُلَاتُهُ وَلَا وَلَدُهُ
ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ وَخَصْمَاهُ وَسَطَ ال جِنَّ وَالْإِنْسَ رَجُلُهُ وَيَدُهُ
خَاشِعَ الطَّرْفِ لَيْسَ يَنْفَعُهُ ثُمَّ مَ أَمَانِيَّةُ أَمَانِيَّةُ وَلَا لَدَدُهُ

قُلْ لِبَاكِي الْأَمُوتِ لَا يَبْكُ لِلنَّا سِ وَلَا يَسْتَنْعِ بِهِ فَندٌ¹

ويجب التنويه هنا إلى أن الزهد في ق2هـ إنما هو مذهب له خصائصه وأصوله وعناصره التي يركز عليها وليس مجرد ميل إلى الزهادة وتقوى الله، أو حالة من حالات الإيمان يصورها الشاعر كما يصور أي شعور ينتابه، إنه فكرة عميقة يعتنقها الشاعر فتتغلغل في كيانه ويلتبس بها شعره، فلا يكاد يصور الشاعر سواها من أحاسيس الفن ولا يكاد ينحرف عنها إلى غرض آخر. وفي كتاب الفهرست لابن النديم وحلية الأولياء لابن نعيم وصفة الصفوة لابن الجوزي نجد عشرات من الأسماء الدائعة في الزهد والتصوف تصور لنا مدى أهمية تيار الزهد في هذا القرن والذي جاء مناوئاً لحركة المجون والزندقة.

كما أن الوضع الاقتصادي كان له كبير الأثر في ظهور هذا التيار؛ إذ الفروق الواضحة بين الطبقات الاجتماعية أوجدت طبقة فقيرة بائسة لم تكن تستطيع شيئاً إلا أن تقنع بالكفاف من الرزق معتصمة بتقوى الله.

ولعل أول شعر وصلنا يعبر عن اتجاه الزهد في ق2هـ هي تلك المقطوعات العميقة التي شدّت بها رابعة العدوية والمولودة بالبصرة سنة 95هـ، والتي عاشت في أسرة شديدة الفقر وقد جرفها بعد ذلك تيار اللهو والمجون حيناً من الدهر حتى أفاقت روحها من غشيتها فاعتزلت الحياة والناس، وعكفت على نفسها تنشد الاتصال الروحي بالله، ومن أشعارها في حب الذات الإلهية قولها:

أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

ويجيء بعد رابعة العدوية في تاريخ الشعر الزهدي في ق2هـ أبو العتاهية، وهو ليس عربي الأصل، ونشأ في الكوفة التي كانت مركزاً لتيار اللهو والمجون، وقد نشأ فقيراً، ويبدو أن انغماس أبو العتاهية في الإثم بعد أن عاش فترة من حياته في لهو ومجون وعبث قد جعل نفسه تعاف هذا النوع من الحياة تماماً كما حدث مع رابعة العدوية.

ويرى محمد خلف الله أن وراء زهد أبي العتاهية وتحوله من المجون واللهو إلى الإيمان وتقوى الله عاملين رئيسيين هما:

1- إحساسه الدفين بضعة أصله ونقصه، وهذا الإحساس حمله على أن ينادي بأن التقوى هي العز والكرم، كما في قوله:

دعني من ذكر أبٍ وجد ونسبٍ يعليك سوء المجد
ما الفخر إلا في التقى والزهد وطاعة تعطي جنان الخلد

2- حبه لعنتبة الذي صهر مشاعره وكان بلا أمل فصار بذلك حرماناً أضيف إلى أسباب نكسته².

1 - التطور والتجديد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، طبع لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1952، ص28.
2 - دراسات في الأدب الإسلامي، أحمد محمد خلف الله، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1948، ص58.

ولم يكن هذان العاملان وحدهما هما السبب في تنسك أبي العتاهية، ولكن اتصاله بالثقافات المختلفة في عصره وبخاصة حركة الزهد التي بدأت تأخذ طريقها في ذلك الوقت. فأبو العتاهية شهد حركة الزهد والتصوف في مهدها، فقبله بقليل عاش الحسن البصري وفي زمانه عاش إبراهيم بن أدهم وشقيق البلخي ورابعة العدوية والفضيل بن عياض.

ومما لا شك فيه أن أبا العتاهية كان لديه استعداد فطري وأن فقره وضعة أصله من بين الدوافع القوية له على سلوك سبيل الزهادة، فقد كان يكرر دائما في شعره أن الإنسان لا يجب أن يفتخر بحسبه وماله، يقول:

لا يفخر الناس بأحسابهم فإنما الناس تراب وما

ويقول:

ولقد مررت على القبور فما ميّزت بين العبد والمولى

ومما لا شك فيه أيضا تأثر أبي العتاهية بثقافات عصره وبحركة الزهد التي عاصرتها، وبحركة الوعاظ والقصاص التي انتشرت في ق2هـ، حتى إن بعض المستشرقين يرون أن أبا العتاهية اتخذ شعره من منابع نثرية كمواظ الحسن البصري، ومن أمثلة ذلك قوله:

أبقيت مالك ميراثا لو ارثته ... فليت شعري ما أبقى لك المال؟

القوم بعدك في حال تسوء هم ... فكيف بعدهم دارت بك الحال؟

ملوا البكاء فما يبكيك من أحد ... واستحكم القيل في الميراث والقال!¹

مأخوذ فيما يروى عن الحسن البصري حيث يقول: «يا ابن آدم أنت أسير في الدنيا رضية من لذتها بما ينقضي، ومن نعيمها بما يمضي، ومن مكلمها بما ينفذ، فلا تجمع الأوزار لنفسك ولأهلك الأموال فإذا مت حملت الأوزار لنفسك ولأهلك الأموال»².

ومدار شعره هو الإنسان من حيث سعيه الملح في الحياة الدنيا يستكثر من الولد ويجمع المال ويشيد الدور والمصانع، ويقبل على الشهوات وملذات الحياة ويقع في التراب مع العبيد وعامة الناس، ولهذا ينصح الشاعر إخوانه في الإنسانية أن يتعظوا، وأن يرقوا بعقولهم إلى مستوى الأحداث، فالحياة ليست حلوا خالصا بل ممزوجة بعلقم وهي شيء موقوت له نهاية وأن هذه النهاية بشعة، ولهذا كله ينبغي نبذ الحرص على زخرفها ولا بدّ من الرفق وحسن الخلق وليس الطبع والتسامح في معاملة الناس وأن القناعة كنز لا يفنى، وخلص النفس من شرها يكون في رضاها بواقع حالها.

يقول مصورا سعي الإنسان الذي يعقبه الموت:

ترقّ من الدنيا إلى أي غاية سنموت إليها فالمنايا وراءها

ويقول:

1 - العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1404 هـ، ج.3، ص.164.
2 - اتجاهات الشعر العربي القديم، مصطفى هدارة، ص.295. وينظر: العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1404 هـ، ج.3، ص.163.

فيا عجباً تموت وأنت تبني ويتخذ المصانع والقبابا

ويصور انقلاب الدنيا فيقول:

فَلَا تَعْشَقِ الدُّنْيَا أُخَيَّ فَإِنَّمَا تَرَى عَاشِقَ الدُّنْيَا بِجُهِدِ بَلَاءِ

خَلَاوُثُهَا مَمَزُوجَةٌ بِمَرَارَةٍ وَرَاحَتُهَا مَمَزُوجَةٌ بِعَنَاءِ

وواضح من عناصر شعر أبي العتاهية الزهدي أن التشاؤم يظله بروحه الكئيبة وهذه الناحية لا تطابق الإسلام لأن الإسلام يأمر بالسعي في الحياة الدنيا وإقامة المصانع وإظهار النشاط.

4-5- الشعر المذهبي:

يقصد بالشعر المذهبي الشعر الذي قاله أصحابه في انتصارهم لمذاهبهم المختلفة، سواء كانوا من الخوارج أم من الشيعة أم من المرجئة. هذه الفرق التي كانت تتناحر منذ بداية ق2هـ، وبدأت تحل محل الأحزاب السياسية، وهذه المذاهب كانت تستمد أصولها من أفكار دينية تم اصطناع بعضها بعد ذلك بنزعات سياسية. والشعر المذهبي يعتبر جديداً على الشعر العربي فلم يظهر قبل ق2هـ.

وقد كان للمتكلمين تأثير كبير في نشأة المذاهب المختلفة، فهم من أثاروا بجدالهم الديني مشكلات كثيرة وعقائد مختلفة. ووضعوا في أيدي أصحاب الفرق سلاحاً يدافعون به عن آرائهم وهو الجدل والمحااجة.

والشاعر المذهبي الحق لا يمدح فرداً إلا إذا كان لهذا المدح صلة بمذهبه فقد روي أن السيد الحميري وقف على بشار وهو ينشد الشعر فأقبل عليه وقال:

أَيُّهَا الْمَادِحُ الْعِبَادَ لِيُعْطَى إِنَّ اللَّهَ مَا بِأَيْدِي الْعِبَادِ

فَاسْأَلِ اللَّهَ مَا طَلَبْتَ إِلَيْهِمْ وَارْجُ نَفْعَ الْمُتَرَّلِ الْعَوَادِ

لَا تَقُلْ فِي الْجَوَادِ مَا لَيْسَ فِيهِ وَتُسَمِّي الْبَخِيلَ بِاسْمِ الْجَوَادِ

فقال بشار: من هذا؟ فعزّفه فقال: لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا¹.

ولعل مشكلة الجبر والاختيار كانت أولى المشكلات التي اختلفت حولها الفرق المذهبية، ومدارها هل نعتزف بأن الله قدر على عباده الشر؟ فننفي بذلك العقل عن الإنسان وفعاليته وقدرته على التمييز بين الخير والشر دون تأثير ألهي، فنصطدم ببعض آيات القرآن وبعض الأحاديث التي لا يملك الإنسان لها رداً كالموت فنجد من الشعراء من ينتصر للقدرية ومنهم من يقف إلى جانب الجبرية وفريق ثالث بينهما، فصالح بن عبد القدوس مثلاً ينفي الجبرية نفياً تاماً فيقول:

وَلَا أَقُولُ إِذَا مَا جُنْتُ فَاحْشَةَ إِنِّي عَلَى الذَّنْبِ مَحْمُولٌ وَمَجْبُورٌ

وهو في موضع آخر متحير في نسبة الأفعال التي يأتيها البشر: هل هي جبرية أم اختيارية أم بين بين، يقول:

وقال أيضاً:

البسيط

لَمْ تَحُلْ أَفْعَالُنَا اللَّاتِي نَذَلُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ فِي مَعَانِيهَا
إِمَّا تَفَرَّدَ مَوْلَانَا بِصُنْعَتِهَا فَالْلَوْمُ يَسْقُطُ عَنَّا حِينَ نَأْتِيهَا
أَوْ كَانَ يَشْكُرُنَا فَالْلَوْمُ يَلْحَقُهُ إِنْ كَانَ يَلْحَقُنَا مِنْ لَائِمٍ فِيهَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ فِي جَنَابَتِهَا صُنْعٌ فَمَا الصُّنْعُ إِلَّا ذَنْبٌ جَانِبُهَا
وأبو العتاهية يذهب مذهب الجبرية شأن غالبية المتزهدين والصوفية فيقول:

الْحَمْدُ لِلَّهِ يَقْضِي مَا يَشَاءُ وَلَا يُقْضَى عَلَيْهِ وَمَا لِلْخَلْقِ مَا شَاؤُوا
لَمْ يُخْلَقِ الْخَلْقُ إِلَّا لِلْفَنَاءِ مَعًا نَفْنَى وَتَفْنَى أَحَادِيثُ وَأَسْمَاءُ

والخوارج على هذا الأساس حزب ثوري صريح في عدائه للدولة القائمة ومذهبهم مؤسس على فكرة دينية، فهم يريدون توجيه الأمور العامة وفقاً لأوامر الله ونواهيه، وقد كانوا شديدي الحماسة والإيمان بمذهبهم إلى حدّ الفناء في سبيله، وكان شعرهم صدى لنفوسهم المؤمنة الثابتة على مبادئها، وقد لاحظت الباحثة سهير القلماوي، أن الكلام في العقيدة لم يشغل حيزاً يذكر في شعرهم، كما أن شعورهم الديني لم يكن شعور المفكرين المتفلسفين، وإنما كان شعور أعراب سذج لم يدرسوا ويبحثوا أو يعللوا ويحللوا، ولهذا لا نجد في أدبهم جدالاً أو دفاعاً بالحجج والبراهين، وشعرهم صادق كل الصدق، فهذا بن شبيب يذهب إلى خالد القسري يسأله الفريضة (العدل) فيقول خالد: وما يصنع ابن شبيب بالفريضة فلما رجع عليه ابن شبيب قال:

لَمْ أُرِدْ مِنْهُ الْفَرِيضَةَ إِلَّا طَمَعاً فِي قَتْلِهِ أَنْ أَنَالَا
فَأُرِيحَ الْأَرْضَ مِنْهُ وَمِمَّنْ عَاتٍ فِيهَا وَعَنِ الْحَقِّ مَا لَا
كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ أَرَاهُ تَرَكَ الْحَقَّ وَسَنَّ الضَّلَالَا
إِنِّي شَارٍ بِنَفْسِي لِرَبِّي تَارِكٌ قِيلاً لَدَيْهِمْ وَقَالَا
بَائِعٌ أَهْلِي وَمَالِي أَرْجُو فِي جَنَانِ الْخُلْدِ أَهْلاً وَمَالاً¹

وفي هذه الأبيات يشير ابن شبيب إلى مبدأ الخوارج وهو الخروج على السلطان الذي ترك الحق في نظرهم مضحين في سبيل ذلك بالأهل والمال راجين أن ينالوا جزاءهم في الآخرة.

وعلى أية حال فالقرن الثاني لم يشهد للخوارج نشاطاً كبيراً بعد هزيمتهم الساحقة على يد مروان بن محمد قبيل قيام الدولة العباسية.

أما المرجئة وهم من أقدم الفرق المذهبية في الإسلام فقد أطلقت عليهم هذه التسمية لأنهم يرجئون الحكم ويكتفون بالإيمان وهم ثلاثة أصناف:

- 1- صنف قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذهب القدرية المعتزلة.
 - 2- صنف قالوا بالإرجاء بالإيمان وبالجبّر في الأعمال على مذهب جهم بن صفوان.
 - 3- صنف ثالث خارج عن الجبرية والقدرية.
- ومن الشعر الذي وصلنا يصور مذهب الإرجاء بعض قصائد لثابت قطنه الذي يعد أكبر داعية لهذا المذهب وهو يشرح عناصر مذهبهم فيقول:

يا هِنْدُ فَاسْتَمِعِي لِي إِنَّ سِيرَتَنَا أَنْ نَعْبُدُ اللَّهَ لَمْ نُشْرِكْ بِهِ أَحَدًا
نُرْجِي الْأُمُورَ إِذَا كَانَتْ مُشَبَّهَةً وَنَصْدِيقُ الْقَوْلِ فَيَمَنْ جَارٌ أَوْ عِنْدَا
الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ كُلُّهُمْ وَالْمُشْرِكُونَ أَشْتَوَا دِيْنَهُمْ قِدْدَا
وَلَا أَرَى أَنَّ ذَنْبًا بِالْغُ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ شَرِكًا إِذَا مَا وَحَّدُوا الصِّمْدَا
لَا نَسْفُكُ الدَّمَ إِلَّا أَنْ يُرَادَ بِنَا سَفَكُ الدِّمَاءِ طَرِيقًا وَاجِدًا جُدْدَا
مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ لَهُ أَجَرَ التَّقِي إِذَا وَفَى الْحِسَابَ غَدَا
وَمَا قَضَى اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَلَيْسَ لَهُ رَدٌّ وَمَا يُقْضَى مِنْ شَيْءٍ يَكُنْ رُشْدَا
كُلُّ الْخَوَارِجِ مُخْطِئٌ فِي مَقَالَتِهِ وَلَوْ تَعَبَّدَ فِيمَا قَالَ وَاجْتَهَدَا
أَمَّا عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ فَإِنَّهُمَا عَبْدَانِ لَمْ يُشْرِكَا بِاللَّهِ مُذْ عَبَدَا

و(فون كريم) يعلق على هذه القصيدة فيقول: «إنها تبين أن المرجئة نظروا إلى هذه الحياة والحياة الأخرى نظرة أكثر أملاً وثقة من الحزب السني القديم والخوارج المتعصبين، وأنكروا بصفة خاصة خلود عذاب النار للمسلمين»¹، وقد حاولوا التوفيق بين المصالح المتعارضة بين العرب وغيرهم من المسلمين حين تطور النزاع بين الأحزاب وحلت تلك المشكلة الاجتماعية محل الخلاف على الإمامة.

والمرجئة تجيز احتمال عفو الله حتى مع عدم التوبة، بينما يرى المعتزلة أن الكبيرة تستحق العقوبة حتما ما لم يتب مرتكبها، وأن من مات عاصيا مرتكبا للكبيرة لا بدّ من النار، وقد أثبت قطنه موقف المرجئة من هذه النقطة في قوله:

وَلَا أَرَى أَنَّ ذَنْبًا بِالْغُ أَحَدًا مِنْ النَّاسِ شَرِكًا إِذَا مَا وَحَّدُوا الصِّمْدَا

ويبدو أن أكثر الذين اعتنقوا مذهب الإرجاء كان دافعهم إلى ذلك هذه النقطة بالذات، ويظهر أن أبا نواس قد مال إلى هذا المذهب لينال عفو الله من آثامه، ولهذا قال لشيخ المعتزلة:

لَا تَحْظُرِ الْعَفْوَ إِنْ كُنْتَ إِمْرًا حَرَجًا فَإِنَّ حَظْرَكَهُ فِي الدِّينِ إِزْرَاءُ

وفي الوقت نفسه يصرح بثقته في عفو الله على مذهب المرجئة فيقول:

1 - الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالموثرات الأجنبية، فون كريم، تر. مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1292هـ، ص. 68.

وَتَقَتُّ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ فَلَسْتُ عَنِ الصَّهْبَاءِ مَا عِشْتُ مُقْصِرًا

وربما كان حقا ما لاحظته أحمد أمين من أن مذهب المرجئة في العفو حتى مع عدم التوبة والإكثار من المعاصي فتح بابا واسعا من أبواب الأدب، إذ ركن كثير من شعراء الدولة العباسية إلى عفو الله على مذهب الإرجاء حينما أفرطوا في اللهو وأسرفوا في اللذة¹.

أما المعتزلة فقد تفرقوا إلى فرق كثيرة، ويتفقون على نفي صفات الله تعالى من العلم والقدرة، وعلى أن القرآن محدث مخلوق، وأن الله تعالى ليس خالقا لأفعال العباد ومذهبهم يركز على أسس خمسة هي: القول بالتوحيد، القول بالعدل، القول بالوعد والوعيد، القول بالمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد نشطت حركة المعتزلة في مطلع ق2هـ، وانبث دعائهم في أنحاء المملكة الإسلامية ينشرون مذهبهم ويحاجون به الفرق الأخرى، وقد صور لنا أحد شعرائهم وهو صفوان الأنصاري جهاد المعتزلة في دعوتهم كما كشف لنا عن بعض مبادئهم في قصيدة يتحدث فيها عن رأس من رؤوس المعتزلة وهو واصل ابن عطاء فيقول:

له خلف شعب الصين في كل ثغرة ... إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفلّ عزيمهم ... تهكم جبار ولا كيد ماکر
إذا قال مروا في الشتاء تطوعوا ... وإن كان صيف لم يخف شهر ناجر
بهجرة أوطان وبذل وكلفة ... وشدة أخطار وكد المسافر
فأنجح مسعاهم وأثقب زندهم ... وأورى بفلج للمخاصم قاهر
وأوتاد أرض الله في كل بلدة ... وموضع فتياها وعلم التشاجر
وما كان سبحانه يشق غبارهم ... ولا الشدق من حبي هلال بن عامر
ولا الناطق النخار والشيخ دغل ... إذا وصلوا إيمانهم بالمخاصر
ولا القالة الأعلون رهط مكحل ... إذا نطقوا في الصلح بين العشائر
بجمع من الجفين راض وساخط ... وقد زحفت بدّاؤهم للمحاضر²
تلقب بالغزال واحد عصره ... فمن لليتامي والقبيل المكائر
ومن لحروري وآخر رافض ... وآخر مرجي وآخر جائر
وأمر بمعروف وإنكار منكر ... وتحصين دين الله من كل كافر
يصيبون فصل القول في كل موطن ... كما طبقت في العظم مدينة جازر

1 - ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج.3، ص.328.

2- الجفان: بكر وتميم. والروقان: بكر وتغلب. والغاران: الأزد وتميم. ويقال ذلك لكل عمارة من الناس، وهي الجمع، وهم العمانر أيضا:
غار. والجف أيضا: قشر الطلعة.

وشعر المعتزلة الذي وصلنا يصور جانباً من مبادئهم، كما يتضمن رأيهم في مذاهب غيرهم من الفرق، فمن ذلك قول بشر بن المعتمر يذكر الخوارج بفضل علي بن أبي طالب –الذي يناصبونه العداء ويكفرونه- عليهم فيقول:

ما كان في أسلافهم أبو الحسن ولا ابن عباس ولا أهل السنن
غرّ مصابيح الدجى مناجب أولئك الأعلام لا الأعراب
كمثل حرقوص¹ ومن حرقوص فقعة قاع حولها قصيص
ليس من الحنظل يُشتار العسل ولا من البحور يصطاد الورل²
هيهات سافلة كعالية ما معدن الحكمة أهل البادية

وقد تصدى صفوان الأنصاري شاعر المعتزلة لدعوة بشار في مفاضلته النار على الأرض، وكيف أن الأرض أكرم عنصراً من النار لاحتوائها على أعاجيب وأسرار، ويربط الشاعر المعتزلي ذلك بمبدأ التوحيد يقول:

زعمت بأن النار أكرم عنصراً ... وفي الأرض تحيا بالحجارة والزند
وتخلق في أرحامها وأرومها ... أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد
وفي القعر من لج البحار منافع ... من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد
كذلك سر الأرض في البحر كله ... وفي الغيضة الغناء والجبل الصلد
ولا بد من أرض لكل مطير ... وكل سبوح في الغمائر من جد
كذاك وما ينساح في الأرض ماشياً ... على بطنه مشي المجانب للقصد
ويسري على جلد يقيم حروزه ... تجمع ماء السيل في صيب حرد
وفي قلل الأجبال خلف مقطم ... زبرجد أملاك الورى ساعة الحشد
وفي الحرة الرجاء تلقى معادن ... لهن مغارات تبجس بالنقد
من الذهب الإبريز والفضة التي ... تروق وتصبى ذا القناعة والزهد
وكل فلز من نحاس وأنك ... ومن زئبق حي ونو شاذر يسدي

وكان للمتكلمين تأثير كبير على الشعر العباسي ومنذ أن نشأ علم الكلام فقد اهتم به عدد كبير من الشعراء باعتبارهم طبقة مفكرة، وكان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام قبل ظهور المعتزلة كان منهم شاعران هما بشار وصالح بن عبد القدوس، وفي البصرة في ق² هـ ظهر شاعر متأثر بمذهب المتكلمين هو أبو عبد الرحمن العطوي، وإبراهيم النظام المعتزلي كان له شعر دقيق على طريقة المتكلمين، وقد أثر مذهب المتكلمين على

1- وهي أطراف السياط.
2- الورل: على خُلقة الضَّب،

شعراء ق 2 هـ فنجدهم يستخدمون مصطلحات علم الكلام وأساليبهم، فالعباس بن الأحنف يذكر في غزله مشكلة القدريّة فيقول:

عَيْنَايَ شَامَتَ دَمِي وَالشُّؤْمُ فِي النَّظَرِ بُعْدًا لِعَيْنِ تَبِيعَ النَّوْمَ بِالسَّهَرِ
يَا مَنْ لِظْمَانٍ يَغْشَى الْمَاءَ قَدْ مَنَعُوا مِنْهُ الْوُرُودَ وَأَبْقَوْهُ عَلَى الصَّدْرِ
أُخْفِيَ الْهَوَى وَهُوَ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِنِّي لَمُسْتَنْزٍ فِي غَيْرِ مُسْتَنْزٍ
فَأَكْثَرُوا أَوْ أَقْلُوا مِنْ مَلَامِكُمْ فَكُلُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدْرِ
إِذَا أَرَدْتُ سُلُوءًا كَانَ نَاصِرَكُمْ قَلْبِي وَمَا أَنَا مِنْ قَلْبِي بِمُنْتَصِرٍ

أما فرق الشيعة فلعلها أعزّر الفرق المذهبية إنتاجا شعريا وهذا راجع إلى تأثيرها القوي في الحياة الفكرية الإسلامية، وتُقسّم فرق الروافض من الشيعة فحسب إلى ثلاثة أقسام: (الزيدية، الكيسانية، الإمامية).

ومذاهب هذه الفرق تختلف اختلافا بينا فيما بينها، وتتراوح في قربها من المذهب السني أو في بعدها عنه إلى حد الكفر والإلحاد، كما تتباين أيضا في تأثيرها بالعناصر والأفكار الأجنبية الفارسية (كازرداشتية والمانوية وغيرها)، والهندية كالبودية ومذهب تناسخ الأرواح والمسيحية واليهودية.

وتجمع فرق الشيعة على تعاليم معروفة منها (عصمة الأئمة واستخدام النقية والإيمان بالرجعة والمهدي المنتظر). ومن الشعراء الذين كانوا يؤمنون بالتشيع كثير عزة، وكان على مذهب الكيسانية الذين ادعوا أن محمد بن الحنفية لم يموت ومن قوله في ذلك:

أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قَرِيشٍ ... وَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سِوَاءِ
عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةِ مِنْ بَنِيهِ ... هُمْ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خِفَاءُ
فَسِبْطُ سِبْطِ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ ... وَسِبْطُ غِيْبَتِهِ كَرِبْلَاءُ
وَسِبْطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى ... يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدِمُهَا اللَّوَاءُ

ويقول الأصفهاني أن كثير كان شيعيا غالبا يزعم أن الأرواح تتناسخ ويحتج بقوله تعالى: (في أي صورة ما شاء ركبك)، وهو يقول ألا ترى أنه حوّله من صورة إلى صورة.

وحينما كان بمكة أمر بلعن علي فرقي المنبر وقال:

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسِبُّ عَلِيًّا ... وَحَسِينًا مِنْ سُوقَةِ وَإِمَامٍ
أَيْسَبُّ الْمُطِيبُونَ جُدُودًا ... وَالْكَرَامَ الْأَخْوَالَ وَالْأَعْمَامَ
يَأْمَنُ الطَّبِي وَالْحَمَامُ وَلَا يَأْ ... مِنْ آلِ الرُّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ
طَبْتُ بَيْتًا وَطَابَ أَهْلُكَ أَهْلًا ... أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ وَالْإِسْلَامِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ ... كَلِمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامٍ

والسيد الحميري كان على مذهب الكيسانية أيضا وهو يقر بالرجعة ومن شعره في الحسين:

أمرز على جدث الحسين وقل لأعظمه الزكيه
يا أعظماً لا زلت من وطفاء ساكبة رويّه
فإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيه
وابك المطهر للمطهر والمطهرة الزكيه
كبكاء موعلة غدت يوماً بواحدھا المنيه

والكسانية يؤمنون بأن ابن الحنيفة في شعب بجبل رضوى تحرسه الوحوش الضارية، وأنه سيعود ويملا الدنيا عدلاً. وفي مذهب الكيسانية يجوز سب أصحاب الرسول وأزواجه والطنع عليهم والسيد الحميري يصور ذلك في هذه الأبيات مُحَرِّضًا بالأمويين والسيدة عائشة:

أين التطرف بالولاء وبالهوى ألى الكواذب من بروق الخلب
ألى أمية أم إلى الشيع التي جاءت على الجمل الخدب الشوقب
تهوى من البلد الحرام فنبهت بعد الهدو كلاب أهل الحواب
وكالكيسانية كان السيد الحميري يجل عليا فيقول مثلاً:

أقسم بالله وآلائه والمرء عما قال مسؤول
إن علي بن أبي طالب على التقى والبر مجبول
ولكن حبه لعلي لا يصل إلى حدّ المغالاة كما يفعل بعض الشيعة المتطرفين الذين ألّهُوا علياً، وهو بالعكس يهاجمهم ومن ذلك قوله:

قوم غلوا في علي لا أبالهم وأجشموا نفسا في حبه تعباً
قالوا هو الله، جل الله خالقنا عن أن يكون ابن شيء أو يكون أباً

ويرى الدارسون أن منصور النمري كان شيعياً إلى أقصى حدّ، وقد طلبه الرشيد لقتله حين اتضحت له حقيقة، وحين سمع قصيدته التي يظهر فيها مذهبه بوضوح ويحمل على الأمويين والعباسيين جملة شعواء:

شاء من الناس راتع هامل ... يُعْلَلُونَ النُّفُوسَ بالباطل
تُقْتَلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ وَيَر ... جُونِ جَنَانِ الْخُلُودِ لِلْقَاتِلِ
وَيْلَكَ يَا قَاتِلَ الْحُسَيْنِ لَقَدْ ... نُوتَ بِحَمَلٍ يَنْوُءُ بِالْحَامِلِ
أَيَّ حِبَاءٍ حَبَوْتَ أَحْمَدَ فِي ... حُفْرَتِهِ مِنْ حَرَارَةِ الثَّائِلِ
بَأَى وَجْهِ تَلْقَى النَّبَى وَقَدْ ... دَخَلَتْ فِي قَتْلِهِ مَعَ الدَّائِلِ¹.

